الإمام علي عليه السلام

في عيون الشاعر بولس سلامة

ناجي بن داود الحرز

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

PJ
٤٨٧
/ل
٩٨ع

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام علي (ع)

في عيون الشاعر بولس السلامة

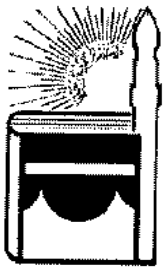

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: ..... الإمام علي(ع) في عيون الشاعر بولس السلامة

تأليف: ..... ناجي بن داود الحرز

الناشر: ..... مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: ..... ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

الإمام علي (ع)

في عيون الشاعر بولس السلامة

تأليف

ناجي بن داود الحرز

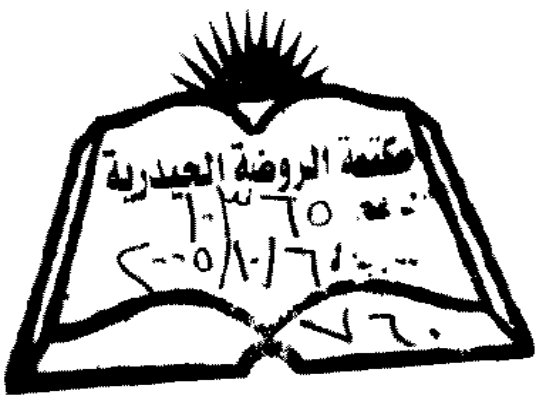

ودخلتُ حبّكَ يا عليّ سعادة

فكأن جنات النعيم دَخلتُمَا

فبذلتُ عمري في هواكَ وإنْ أجد

سبعين عمراً، في هواكَ بذلتها

ناجي بن داود الحرز

المقدمة

الحمد لله الذي تسنح بأمره السوانح وتسفح بغمره السوافح وتقر بذكره الجوانح والصلاة والسلام على من أنار الأكوان بغرّته وختم الأديان بشرعته وأرسى دعائم الإيمان بعترته وعلى عليّ نصيره وصفيّه ووزيره ووصيّه وحجة الله ووليّه وعلى آله النهج القويم والصراط المستقيم صلاة أولها قديم وأوسطها مقيم وآخرها مستَديم.

أما بعد:

فبعون الله وتوفيقه نبدأ هذه الدراسة لواحدة من أعظم الملاحم الشعرية الإسلامية ألا وهي ملحمة عيد الغدير للشاعر الكبير بولس سلامة[1] والتي استمدت عظمتها من عظمة الرجل الذي دارت حوله وتحدثت عنه.

وسيكون محور هذه الدراسة استخلاص ـ إيمان الشاعر المسيحي بإمام المسلمين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام من خلال الرشحات الوجدانية الهائلة التي تعج بها ملحمته الخالدة. فكما قال الإمام علي عليه السلام: (الشعر ميزان العقول). وكما قال الشاعر العربي المعاصر نزال قباني[2] في كتابه «قصتي مع الشعر»: (إن

---

(١) بولس سلامة: شاعر لبناني معاصر ولد في قضاء جزين بلبنان سنة ١٩٠٢م.
دخل معهد الحقوق عام ١٩٢٦م ثم شغل وظيفة قاض مدة من الزمن ولكن مرضاً عضالاً أقعده مدة سبعة عشر عاماً.
منحته جمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية جائزة رئيس الجمهورية للعام ١٩٦٩م. للشاعر مؤلفات شعرية ونثرية منها «مذكرات جريح» و«الصراع في الوجود» و«مختارات شعرية» وملحمة «عيد الغدير».

(٢) نزار قباني: من أكبر شعراء العربية المعاصرين ولد في دمشق عام ١٩٢٣م. عمل في السلك الدبلوماسي فترة من الزمن ثم استقال وأنشأ داراً للنشر في بيروت.

الشاعر موجود في شعره بشكل إلزامي وجبري). ـ وفي بوتقة الوجدان الصادق سنحاول صهر نماذج عديدة من هذه الملحمة لنقف سويّا أمام حقيقة الإمام علي عليه السلام في صدر هذا الشاعر بناء على هذا المقياس.

ولعل أول الإرهاصات التي أشارت إلى هذا المعنى تلك القطعة النثرية الرائعة التي جعلها الشاعر تصديراً لملحمته وأشار فيها بجلاء إلى أن صدق وجدانه هو الذي أثار هذه الأمواج العلوية عندما قال: (وفي أعقاب خريف سنة ١٩٤٧م اقترح عليّ حضرة الإمام الشريف صاحب السماحة السيد عبد الحسين شرف الدين[1] نظم «يوم الغدير» فتزاحمت عليّ الفِكَر وأيقظت كوامن الوجدان ـ وتألفت كما تتألف المويجات على صفحات اليمّ ثم تتكشف عن أمواج ترفضّ على الشاطئ فصحّت عزيمتي على نظم ملحمة عنوانها: «عيد الغدير». فالشاعر يشير هنا إلى أن مردّ نظم هذه الملحمة ليس الدعوة التي وجهها سماحة السيد عبد الحسين (قُدس سره) وإنما إلى

يعد نزار من أشهر الشعراء المعاصرين فقد استطاع بذكائه الخاص ان يستقطب جمهوراً عريضا عندما سلك خطا جديداً في الأدب حيث بدأ يتكلم بلسان المرأة في شعره حتى سمي شاعر المرأة وشاعر الحب وقد اتهمه بعض النقاد بتعمد اثارة الغرائز الجنسية لجذب أكبر عدد من المراهقين.وفي الفترة الأخيرة وبعد كساد هذا الخط ومنافسة شعراء آخرين له فيه ركب موجة الشعر السياسي فأبدع وأجاد ولفت الأنظار إليه.

أصدر مجموعات شعرية كثيرة وكان أولها «قالت لي السمراء» في عام ١٩٤٤م ويعتبر نزار قباني مدرسة شعرية جديدة قائمة بذاتها.

(١) السيد عبد الحسين شرف الدين:من أبرز وأعظم علماء وخطباء الشيعة العاملين ولد قدس سره في الكاظمية سنة ١٢٩٠هـ في بيت من بيوت العلم والإيمان. تنقل السيد بين النجف الأشرف وجبل عامل ودمشق وفلسطين ومصر على أثر الاضطرابات السياسية.

كانت حياته حافلة بالعطاء لخدمة العقيدة والمجتمع ومقارعة الاستعمار والظلم والاضطهاد.

له عشرات المؤلفات القيمة ومن ابرزها كتاب «المراجعات» وكتاب «الفصول المهمة».

وقد أُحرق الكثير من مؤلفاته بتحريض من القوات الفرنسية أثناء الهجوم على منزله في لبنان.

توفي ـ أعلى الله مقامه ـ عام ١٢٧٧هـ.

ما أيقظته تلك الدعوة العزيزة من «كوامن الوجدان». وهذه إشارة واضحة إلى أن الإمام علياً عليه السلام كان مقيماً في وجدان الشاعر قبل تلقيه تلك الدعوة. وليس غريباً أن يتأثر ويؤمن هذا الرجل المسيحي بعظمة إمام البشرية وخليفة خير الخلق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وليس غريباً أن نعتقد نحن أيضاً بإيمان هذا الشاعر بعلي عليه السلام لأن دوافعه لنظم هذه الملحمة لم تكن مطامع دنيوية بل كانت استجابة لدعوة لعله كان ينتظرها لتفجير كوامن وجدانه المفعم بالإمام علي عليه السلام بطلا وإماما وسيدا. فهو كما عرف نفسه: (إني رجل مسيحي ينظر من أفق رحب لا من كوة ضيقة). وها هو يستعرض بعض الأسباب التي جعلته يؤثر الإمام علياً عليه السلام بهذه الملحمة بقوله:

(وقد يقول قائل ولم آثرت علياً عليه السلام دون سواه من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله بهذه الملحمة؟ ولا أجيب على هذا السؤال إلا بكلمات فالملحمة كلها جواب عليه وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي كان يذكره المسلمون فيقولون: رضي الله عنه وكرم الله وجهه وعليه السلام، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه ويتمثل به الزهاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقنوتاً وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلع إليه الكاتب الألمعي فيأتم ببيانه ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه).

ثم يستطرد الشاعر والأديب العاشق ـ لشخصية علي عليه السلام:

(أما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلّ عليه الآيات من عل وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن عليه السلام إذ دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي فقال: أنح هذا النحو. ويقرأ الجبان سيرة علي عليه السلام فتهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة إذ لم تشهد الغبراء ولم تظل السماء أشجع من ابن أبي الطالب عليه السلام فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليدا فعليّ عليه السلام هو بطل بدر وخيبر والخندق وحنين ووادي الرمل والطائف واليمن).

وها هو بولس سلامة لا يدعك تحتار طويلا في شغفه بالإمام علي عليه السلام فيضع النقط على الحروف بعباراته المنسكبة من فيض وجدانه عندما قال: (بقي لك أن تحسبني شيعيا..!! ـ وكأنه يقول: نعم ـ فإذا كان التشيع حبّا لعلي وأهل البيت المطيبين الأكرمين عليهم السلام وثورة على الظلم وتوجعاً لما حل بالحسين عليه السلام وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ فإنني شيعي).

وما هو الشيعي إلا ذلك المؤمن بالله المؤمن بعلي عليه السلام آية من آياته والمتيقن أن حبه لعلي عليه السلام هو الطريق الوحيد إلى رضوان الله وإلى دخول جنانه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[١]. وقال: (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب)[٢]. وقال: (لا يجوز أحد السراط إلا من كتب له علي الجواز). وقال: (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار)[٣]. ولقد كان بولس سلامة ـ كما توحي به ملحمته ـ شيعيا بهذا المعنى كله. فهاهو عندما يقدّم ويُهدي جهده إلى ملهمه العظيم يجسد ذلك المعنى بقوله مخاطباً الإمام علياً عليه السلام: (فتقبل هذه الملحمة وانظر من رفارف الخلد إلى عاجز شرّف قلمه بذكرك) .

وفي خاتمة ملحمته يصرّ الشاعر على هذا المعنى وعلى أن حبه لعلي عليه السلام وقوله الحق فيه يؤهله لطلب المثوبة من الله عز وجل بقوله:

يـــا إلـــه الأكـــوان أشـــفق علـــيا لا تمـــتني غـــب العـــذاب شـــقيّا

أولني أجر عامل في صعيد الخير يبغي ثوابك الأبديّا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ١٣٠.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥: ١٧٧، والمناوي في كنوز الحقائق والديلمي في مسند الفردوس.

(٣) أخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة.

مصـــدر الحـــق لم أقـــل غـــير حـــق أنـــت أجريـــته عـــلى شـــفتيا
أنـــت ألهمـــتني مـــديحَ علـــي فهمـــى غـــيدق البـــيان علـــيا[١]

ثم يعتز ويفتخر بهذا الحب وهذا الولاء للحق المتمثل في شخص الإمام علي عليه السلام: (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار)[٢].

يـا أمـيـر البـيـان حسـبي فخـراً أنـــني مـــنك مالـــئ أصـــغريا
جـلجل الحـقُ في المسـيحي حـتى عُـد مـن فـرط حـبه علويـا

أنا مَن يعشق البطولات والإلـهام والعدل والخلاق الرضيا

فـإذا لـم يكـن علـي نبـيّا فلقـد كـان خلقـه نـبويّا
أنـت رب للعـالمين إلـهي فأنـلهم حـنانك الأبويـا

وأنلني ثواب ما سطرت كفي فهاج الدموع في مقلتيا

سـفـر خـيـر الأنـام مـن بعـد طـه مـا رأى الكـون مـثله آدمـيا
يـا سمـاء اشـهدي ويـا أرض قـري واخشـعي إنـني ذكـرت علـيا[٣]

وسنحاول أن تكون هذه الدراسة تأطيراً لرؤية الشاعر العاشق لمعشوقه الفذ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال ثلاثة أبواب:

الباب الأول: عليٌّ وَحدَه.

وهو استكناه لمنزلة الإمام علي عليه السلام في قلب الشاعر كشخصية مستقلة مفردة لـها سماتها الخاصة وبصمات تلك الشخصية بصفاتها العظيمة على رؤية الشاعر.

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣٠٦.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢، والترمذي في صحيحه ٢: ٢٩٨، والحاكم في المستدرك والفخر الرازي في تفسيره والهيثمي في مجمعه ٧: ٢٣٥، والطبري في ذخائره والمناوي في كنوز الحقائق والمتقي الهندي في الكنز ١١: ٦٤٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٣١٢.

الباب الثاني: علي مع الرسول.

وفي هذا الباب سنتتبع الدور الرائد والعظيم لعلي عليه السلام في نهوض الدعوة الإسلامية وارتكاز تلك النهضة المقدسة على إيمانه بها ودفاعه عنها.

الباب الثالث: علي بعد محمد.

وسنرى من خلال هذا الباب تأثر الشاعر الشديد بما تَحمّلَهُ الإمام علي عليه السلام بعد رحيل نبي الأمة وتضحياته الهائلة مِن أجل الدعوة المحمدية.

وستلاحظ تكرر بعض الشواهد لضرورة استخلاص ما يخص كل باب منها.

الباب الأول

عليٌّ وَحْدَه:

أنـت أجهـدتَ يـا علـي عُصـوراً بعـدك استيقضـت لجـني الكمـال
يعجـز الحـلم حيـث تجـري طلـيقا ويعـود الجسـور نضـوَ هـزال[1]

لعل الشاعر في هذين البيتين الرائعين اختصر كل ما قاله وما أراد قوله في علي عليه السلام كشخصية متفردة بالكمال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. ذلك الكمال الذي لم تعرفه العصور إلا بعد أن زرعه الإمام عليه السلام إزاء الدنيا بأسرها فاستيقظت على عبق شذاه وفيض نوره تجني ما أينع من ثمر ذلك الزرع القدسي الذي يعجز الحلم أن يجاريه فيعود الجسور هزيلاً أمام جبروته، والشاعر لا يدع مرحلة من مراحل حياة الإمام علي عليه السلام دون أن يشير إلى ما في تلك المرحلة من آيات تلك العظمة، فها هو عندما يتحدث عن مولد الإمام عليه السلام يصوّر استقبال الكون بأسره لـهذا القادم العظيم والجوانب القدسية المشرقة إزاء ذلك الحدث السعيد عندما بَسم المسجد الحرام حبوراً بذلك المولود والسماء الذي استفز لتأكيد صفات العلو لـه من خلال ما اختاره لـه الله سبحانه من اسم اشتقه لـه من إسمه. ولا ينسى الشاعر في خضمّ هذه المشاعر الفياضة أن يشير إلى سطوة هذا المولود وبطولته التي سيكون لـها الدور الـهائل في تحطيم القيود عن البشرية الرازحة تحت نيّر الجاهلية.

وسنتركك تتأمل ذلك كله ـ دون مقاطعة ـ في هذه الأبيات المختارة من مقطوعة:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٥٧.

مولد علي:

صبرت فاطم على الضيم حتى ... لهث الليل لهثة المكدود
وإذا نجمة من الأفق خفت ... تطعن الليل بالشعاع الجديد
وتدانت من الحطيم وقرّت ... وتدلت تدلي العنقود
تسكبُ الضوء في الأثير دفيقا ... فعلى الأرض وابل من سعود
واستفاق الحمام يسجع سجعا ... فتهش الأركان للتغريد
بسم المسجد الحرام حبوراً ... وتنادت حجاره للنشيد
ذر فجران ذلك اليوم فجر ... لنهار وآخر للوليد
هالت الأم صرخة جال فيها ... بعض شيء من همهمات الأسود
دعت الشبل حيدراً كأبيها ... لبدة الجد أهديت للحفيد
بل علياً ندعوه قال أبوه ... واستفز السماء للتأكيد
ذلك اسم تناقلته الفيافي ... ورواه الجلمود للجلمود
يهرم الدهر وهو كالصبح باق ... كل يوم يأتي بفجر جديد[1]

واللافت للنظر في هذه الأبيات وفي كثير غيرها أنّ الشاعر لا يسجل حدثاً تاريخياً بل يجسد رؤيته الخاصة لذلك الحدث وتلك هي «كوامن الوجدان» التي أشار إليها الشاعر في مقدمته والتي سترتكز عليها هذه الدراسة. وإذا أردت أن تلمس ما نقوله فما عليك إلا أن تعيد قراءة الأبيات السابقة ولابد أنك ستكتشف مع ما ستكتشفه من جمال الأبيات كقطعة فنية جميلة أنّ الشاعر لم يذكر انشقاق جدار الكعبة ودخول أم الإمام في الكعبة.

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣٧.

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن طفولة الإمام علي عليه السلام:

وحبا الطفل نابها هاشميا ... خصبُ عقل وساعد من حديد
ورآه النبي كنزا صغيرا ... طلعة الليث في بهاء العيد
فانتقاه لعشه فرخ نسر ... فهو من قلبه كحبل الوريد[1]

والشاعر هنا يؤكد بعض صفات الإمام العظيمة من نباهة هاشمية وعقل راجح وساعد حديدي جبار إلا أنه يخفق عندما ذكر تلك الصفات والفراغ الذي تركه موت القاسم بن محمد صلى الله عليه وآله:

بُدّل القاسم الفقيد عليا ... بُدّل الدر طارف بتليد

وجعل ذلك سبباً لإعجاب النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام واصطفائه دون الإشارة إلى دور السماء في ذلك الاختيار. وعندما يمرّ الشاعر بدخول علي عليه السلام في الإسلام أو بالأحرى إعلان عليّ عليه السلام لإسلامه لا يشير إلى دور السماء أيضاً في ذلك ويكتفي إزاء هذه النقطة الفسيحة[2] ببيت واحد فقط هو قوله:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) لقد أعطى المأمون هذا الجانب من حياة الإمام علي عليه السلام ما لم يعطه أحدٌ قبله ممن حقق فيه في مناظرته التي أوردها ابن عبد ربه في كتابه: «العقد الفريد» قال: قل إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل قال المأمون: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله؟ قلت: الإخلاص بالشهادة. قال: أو ليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: إقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إنما عنى من سبق إلى الإسلام فهل علمت أحداً سبق علياً عليه السلام إلى الإسلام؟ قلت: إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني أيهما أسلم قبل ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال؟ قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة فقال: نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟ قال: فأطرقت. فقال لي: لا تقل إلهاما من الله فتقدمه على رسول الله. قلت: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

وتـــلا زوجـــة الـــنبيِّ علـــيٌّ بكـرُ مَـن آمـنوا وبكـرُ الخلـود[1]

وهذا مما يحسب على الشاعر ..؟

كـــلما افـــتر بـــرعمٌ داعبـــتهُ كـف ريـحٍ تقـول للطيـب : هـيّـا

هـاتِ يـا شـعرُ من عيونك واهتفْ باسـم مَـن أشـبع السباسـبَ ريّـا

يا الله .. ما أجمل هذه الصورة الرائعة .. وليت شعري عن أي كتاب للسيرة أخذ الشاعر هذا المعنى..؟ وهل يستطيع التاريخ بقسوته أن يتشظى عن مثل هذه اللؤلؤة النادرة..؟ فما هي إلا رشحة من وجدان شاعر مسحور بعظمتك يا أبا الحسن!! نعم يا بولس. ونقولـها معك الآن..

هات يا شعر من عيونك واهتف باسم من أشبع السباسب ريّا نقولـها متأملين ومتعجبين من الربط بين (عيونك) و(السباسب) في هذا البيت الجميل.

وسننتقل الآن إلى عليّ ربِّ السيف وفارسِ الهيجاء (الذي لم تشهد الغبراء ولم

قـال: يـا إسـحاق فهـل يخلـو رسـول الله صلى الله عليه وآله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلـف ذلـك من عنده؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى التكلف فـإن الله يقـول: ﴿وَمَـا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ قلت: أجل بل دعاه ـ بأمر الله. قال: فهل من صفة الجـبار جـل ثناؤه أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه الحكم؟ قلت: أعوذ بالله. فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إنّ علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد كلف الله رسوله صلى الله عليه وآله من دعـاء الصـبيان مـا لا يطـيقونه فهو يدعوهـم ـ الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهـم شـيء ولا يجـوز عليهم حكم رسول الله صلى الله عليه وآله أترى هذا جائز عندك أن تنسبه إلى الله عـز وجـل؟ قلـت: أعـوذ بـالله. قال: فأراك يا إسحاق إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله علـيا عليه السلام على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله. ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً عليه السلام ؟ قلت: بلى. قال: فهل بلغك أن الرسول صلى الله عليه وآله دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول أن علياً عليه السلام ابن عمه؟ قلت: لا أعلم ولا أدري فعـل أم لم يفعـل قـال: أرأيـت مـا لم تـدره وما لم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال: فدع ما وضعه الله عنا وعنك.

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٩.

تظل السماء أشجع منه) صاحب الساعد الأجدال (الذي اعتمد الإسلام عليه يوم كان وليداً). والشاعر تفنن في إبراز هذا الوجه من شخصية الإمام عليه السلام حتى نكاد نجزم بأنه أعطى هذا الجانب فوق ما أعطاه لأي جانب آخر ـ في ملحمته هذه ـ من جوانب شخصية الإمام علي عليه السلام فقال وهو يرصد تباشير ولادته:

هالـــت الأم صـــرخة جـــال فـــيها بعـض شـيء مـن همهمـات الأسـود

وقال:

أســـداً سمّـــت ابـــنها كأبـــيها لـــبدة الجـــد أُهديـــت للحفـــيد

فهو رآه أسداً يوم ولادته وحتى اليوم الذي استشهد فيه وسنتابع ذلك من خلال انتقالنا عبر هذه الملحمة التي لم يترك الشاعر فيها فرصة دون تأكيد هذا المعنى.

فيوم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله بإعلان الدعوة ونزول قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1]

وعندما جمع النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب ودعاهم إلى الإسلام قائلاً فيما قال:

(فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي)[2]

لم يجبه أحد غير علي عليه السلام وكأن الشاعر تمثل الإمام عليه السلام وهو يجيب رسول الله واضعاً يده على مقبض سيفه مُتأهباً للدفاع عنه :

---

(١) الحجر ٩٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حليته والبيهقي في سننه والثعلبي في قصص الأنبياء والطبراني في معجمه وابن الأثير في الكامل ٢: ٢٤، وأبو الفداء في تاريخه ١: ١١٦، وسعيد بن منصور في سننه وابن حنبل في مسنده ١: ١١١، والنسائي والحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص وابن سعد في الطبقات ١: ٣٤، وابن حجر في الإصابة ١: ٥٣٥، والطبري في الرياض النضرة ٣: ١١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥: ٩٧، والشبلنجي في نور الأبصار.

أيّكم يتبع هداي ويمشي ... في لوائي يكن أخي وعمودي
لم تُحرك يد ولا اهتز طرف ... أو لسان يهمّ بالتأييد
كلهم غير واحد تتشظى ... بين جنبيه جمرة الصيهود
قال والرأس في ارتفاع وعز ... وعلى القول نبرة الصنديد

قال: إني لها وإن كنت غض العمر فالسيف للعتاة بريدي[1]

ويوم عزم النبي صلى الله عليه وآله على الهجرة وأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه إزاء أربعين سيفاً بيد أربعين من صناديد المشركين تتحفز كلها للبطش بهذا النائم يقول الشاعر:

رقد الليل ناعماً بفراش ... حشوه الموت فالوساد مخاطر
بات فوق الخناجر الزرق ليثٌ ... دون أظفاره رهيف الخناجر
لوّح الصبح وانجلى عن هصور ... ثابت البأس مطمئن الناظر[2]

إلى أن قال:

واجه القوم لاحسام شطيب ... لا قناة لا بيضة لا مغافر
أعزلاً كالحقيقة البكر طلقاً ... بارز الصدر كالصباح السافر
حبّه الموت هالهم فتواروا ... كالخفافيش في ضياء باهر[3]

وعندما حان موعد هجرة علي عليه السلام إلى يثرب حيث الحبيب محمد صلى الله عليه وآله كان الشاعر معه بقلبه وفكره وهو يقطع الدرب وحسبك ـ ما تحتاجه تلك البيداء المقفرة من عزم وقوة لقطعها خاصة إذا كان العابر مفرداً مطارداً هو ومن معه من الحرائر الهاشميات والشاعر يصور لك عزيمة الإمام عليه السلام من خلال تصويره لتلك المفازة

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٤١.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٤٥.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٤٥.

الموحشة:

يـــا شـــويّ الرمضـــاء أي جحـــيم ذقـــت في غمـــرة الســـعير الفائـــر
والـــهجير الـــلهاب يكـــوي الســـحايا والـــرياح الـــهوجـــاء تُعمـــي المحاجـــر
يـــا لـــهـــاة الظمـــآن تحـــلم بالآبـــار بالنـــبع بالســـحاب الـــهـــادر
عـــيدها أن تـــرى الســـراب فـــتهفو ولـــو أن الســـراب خـــدع الـــنواظر

فهجير الصحراء للظامئ الغرثان موت فيا نزاع الحناجر[1]

ويأبى إيمان الشاعر بعلي عليه السلام وعشقه له إلا ان يبرز هنا ليأمر الصحراء بتغيير طباعها إجلالا لـهذا العابر العظيم:

يـــا رمـــال الصـــحراء هـــذا علـــيّ فاملـئي الـدرب والضـفاف أزاهـر
هـــو بعـــد الـــنبي أشـــرف ظـــل لاح في السَّبْسَـــب الخلـــيّ مهاجـــر
حمّلـــي أجـــنح الأثـــير نســـيماً مـــن جفـــون الأســـحار ريـــان عاطـــر
ولـــيفض صـــدرك المعـــبس واحـــاً باسمـــاً بالرطيـــب في وجـــه عابـــر
تســـرح الـــرئم حولـــه والحـــبارى والـــنعامات والمهـــا والجـــآذر
وابســـطي حولـــه الـــزنابق فرشـــا وانشـــري فوقـــه الغمـــام مقاصـــر[2]

وقبل الانتقال عن هذه الأبيات الجميلة نقول: إن بعض التقريرات التي لابد منها للأبيات ـ كشعر ملحمي ـ مدت ظلاً خافتاً على جمالها. فقوله:

هـــو بعـــد الـــنبي أشـــرف ظـــل لاح في السبســـب الخلـــي مهاجـــر

تقرير لحقيقة تاريخية محضة لاحظ فيه للصورة الشعرية المحلقة. وقوله:

تسرح الرئمُ حولـه والحبارى والنعامات والمها والجآذر

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٤٧.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٤٨.

احتاج الشاعر فيه إلى الحشو الذي يُعد من عيوب الشعر بتكراره (للرئم) و(المها) و(الجآذر) هذه المفردات ذات المدلول الواحد. ولو اكتفى الشاعر بثلاثة أبيات من ستة وهي:

يا رمال الصحراء هذا علي فاملئي الدرب والضفاف أزاهر
وليفض صدرك المعبس واحاً باسماً بالرطيب في وجه عابر
وابسطي حوله الزنابق فرشاً وانشري فوقه الغمام مقاصر

لكانت كافية خالية من كل مأخذ إلا قوله: (المعبّس) فقد جاءت عابسة كعبوس الصحراء التي جاءت في معرض وصفها، وليته استبدلها بكلمة أقل نشازاً ونفوراً (كالعبوس) ـ مثلاً ـ مع بعض التصرف فيما بعدها من المفردات لمراعاة الوزن.

كأن يقول:

وليفض صدرك العبوس رياضاً تزدهي بالرطيب في وجه عابر

وأبيات رائعة أخرى حيّا الشاعر بها الإمام عليه السلام مهاجراً وجدت مكاناً لها هنا يقول:

يا لواء المهاجرين سلاماً من روا بي لبنان من أندائه
من صفاء الثلج الطهور مقيماً في الأعالي بصيفه وشتائه
ومن الآس والورود عبيرٌ طيب الضفتين في أودائه[1]

وعندما يصل الإمام علي عليه السلام يثرب تأبى عليه مروأته أن يكون ضيفاً ثقيلاً أوعالة على غيره من إخوانه المسلمين فيتجه ذلك الفارس المغوار إلى نخيل يثرب (يرتاد مهنة الأكار) ليعيش حياة الكرماء الأحرار والشاعر لا يترك هذه الومضة من حياة الإمام عليه السلام دون رصد وإشادة:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٨.

تعب القفر من أناة الساري إذ أتى النسر ساحة الأنصار
وأبى أن يكون ضيفاً فراح الـ ليث يرتاد مهنة الأكّار
يغرس النخل عاملاً و يخلي للعشاء الهزيل أجر النهار

وكأن صدر الشاعر المحب لعلي عليه السلام المشحون بالفتون بصفاته العظيمة يأبى عندما تحين له الفرصة إلا أن يُفيض عبر القلم الشاعر من تلك الصفات، ففي هذه المقطوعة وما بعدها أشار الشاعر إلى اتجاه علي عليه السلام إلى العمل وحياة الكفاف يسجل بعض مزايا الإمام عليه السلام مشيداً بتلك الكف الجبارة:

أي كف من جبهة الصخر قُدت هي أسطى من صولة الأقدار
تبعث الرعب في الجماد فتهوي شاهقات الحصون والأسوار[1]

إلى أن يقول:

تلك كف لم يعلق اللؤم فيها فتسامت عن الهوى والصغار
إنها الشمس في الضحى لم تدنس وتزف السلام للأخيار
يبذل المال لليتامى فقير ويلف العطاء بالأستار[2]

ومهمة قدسية أخرى لتلك الكف غير الكد والعمل وغير الجهاد في سبيل الحق وغير بذل المال للفقراء والمحتاجين.

تلكم الكف تسطر الوحي فالقرطاس كونٌ يشع بالأنوار
بينها النجم والضحى وبروجٌ وانشقاقٌ يجيء بعد انفطار[3]

نعم .. فعلي عليه السلام هو ربّ السيف والقلم بلا منازع فتلك الكف التي حملت السيف وقارعت الكفار والمشركين وأرغمت أنوفهم هي ذاتها الكف التي أمسكت

(١) ملحمة عيد الغدير: ٤٩.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٥٠.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٥٠.

القلم وسطرت وحي السماء نوراً وهداية للقلوب. إلا أنّ الشاعر عندما عمد إلى تعداد سور من القرآن وحشدها في بيت واحد كبا كبوة أخرى عندما عاد بالشعر وهو لا يدري إلى عصر الانحطاط عندما كان الشعراء يتبارون في مثل هذه الألاعيب البهلوانية المتكلفة البعيدة عن روح الشعر، وليته استغنى عن هذا البيت لأنه لم يأت بجديد غير التذكير بعصر أدبي هزيل بائد.

ويوم (بدر) كان الإمام سيد الميدان وبطل المعركة بصولاته التي حصدت رؤوس الشرك والضلال وزرعت النصر والأمل في قلوب المؤمنين:

جال في حومة القتال عليٌّ جولة الليث في قطيع الشاء[1]

إلى أن قال:

وعليّ عند اللقاء عيون ... واتزان ودربة الحكماء

يخسف السهل والجبال ويبقى ... وعيه الفذ في السنى والصفاء

كيفما جئته لقيت مجنّاً ... يصرف الموت نفخة في الهواء

يسحب السيف ذا الفقار رهيفاً ... ويدوّي بالضربة العصماء

لمعة البرق في السحاب ورعد ... وقتام ينجاب عن أشلاء

صامت في الطعان صمتَ رياح ... منذراتٍ بالعصفة الهوجاء

فإذا ولولت فظلمة نقع ... قد تريك الفضاءَ غير الفضاء

صرصر تلطم الجذوع وتلقي ... كل تياه غابة شجراء

يعرف الكر حيدر ليس يدري ... الفر إلا سجية الأعداء

لا تفر الحصون مهما تعالى ... السيل وانصبّ من فم الدأماء

تصمد القلعة المنيفة جذلى ... وتصد الأمواج باستهزاء[2]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٥٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٦٠.

ويختم الشاعر هذه القطعة بثلاثة أبيات رائعة وصورة شعرية مبتكرة للسيول التي تغير على تلك القلعة المنيفة فتعود محملة بزهوة الكبرياء بأن ظلال تلك القلعة غمرتها للحظة وأنها لامست ذيول البناء تعود لتروي للبحر أي رسوخ وأي علو كان في تلك القلعة الشماء:

ظلها يغمر السيول فتجري ... صاخبات من زهوة الكبرياء
فاتها النصر فهي تختال فخراً ... أنها لامست ذيول البناء
وهي تروي للبحر أيَّ رسوخ ... وعلو في القلعة الشماء[1]

ويوم (أحد) عندما برز زعيم بني عبد الدار طلحة مُدلاً بالبطولة يدعو أكفاءه إلى المبارزة كانت لعلي عليه السلام صولة :

أرجف الأرض طلحة يتحدى ... باسطاً للنضال باعاً طويلا
وهو في زهوة الطواويس دلاّ ... وزئير الأسود تمنع غيلا
وإذا بالذي يسابق درّ ... الغيث خلقاً وصارماً ومقولا
بعليّ يجري إليه سكوتا ... شيمة الصقر يأنف التهويلا
أوجز السيف خطبة الموت حتى ... لم يشأ من جلاله أن يقولا
ضربة أدمت الأثير فأردت ... وتوالى دويّها موصولا[2]

ويوم (الخندق) عندما نادى عمرو بن عبد ود العامري بين الصفين:

ولقد بحت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز
إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

برز علي عليه السلام ونقش اسمه بسيفه في لوحة الشرف والخلود وهو يقول للنبي صلى الله عليه وآله عندما قال له: إنه عمرو بن عبد ودّ: وأنا علي بن أبي طالب!:

(١) ملحمة عيد الغدير: ٦١.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٦٩.

ومشى حيدرٌ يروم هصوراً ... يلتوي الأخشبان قبل التوائه
أيها النسر دونه كل نسر ... ليس غير النجوم في أجوائه
جلجلت فيه روح عبد مناف ... وقصي وغالب من ورائه
فتنزّيت أمرداً للمنايا ... تطرف العين رقة من حيائه
وازدراك الجبار خاب عنيداً ... وتجاهى وشط في غلوائه
ما درى أنّه يلاقي حديداً ... تستجير الرمضاء من رمضائه
ما درى أنه ينازل شبلا ... غضبات الدهور في أصدائه
وانتضيت السيف المرنّ رقيقا ... فيصل الحق عاريا من طلائه
فإذا بطشه رمادٌ وذل ... وعيون تبكى على أشلائه
كبرّ المسلمون لما رأوه ... جبلا ماد في خضيب دمائه
ضربة ذكرها يظل فتيا ... بعد موت الزمان بعد فنائه
هابها الضيغمان كسرى وروما ... وتغنى الحادي بها في حدائه[1]

أبيات رائعة تصف موقفا رائعاً من مواقف سيف الله وسيف رسوله. تستوقف المبضع عند قول الشاعر (جبلا ماد في خضيب دمائه) فلا يقال: دم خضيب بل يقال: دم نقيع أم دم نازف فلو قال ـ مثلاً ـ: في نجيع أو نزيف دمائه لكان أقرب إلى الصواب.

وفي قوله: (هابها الضيغمان كسرى وروما) جمع كلمتين لا تشبه إحداهما الأخرى ـ على رأي المتقدمين ـ فكسرى هو ملك الفرس أما روما فهي دولة الروم بأسرها. والنقاد يدققون في هذه المسألة أيّما تدقيق فقد عابوا على الكميت جمعه بين الدّل والشنب في قوله:

وقد رأينا بها حوراً منعمةً ... روداً تكامل فيها الدلّ والشنب

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٨٢.

وقالوا: إنما يكون الدل مع الغنج أو نحوه والشنب يكون مع اللعس أوما يجري مجراه من أوصاف الثغر والفم.

ويوم خيبر وأمام بطل يهود (مرحب) كان لعلي عليه السلام موقف مشهود:

ودعا أحمدٌ علياً وقال اليوم ... يوم اللواء يوم العظائم
وعليّ لا يهتدي لطريق ... أرمد العين أحمر الجفن وارم
لامست أصبع النبي جفون ... النسر فالطرف كالهند حاسم[1]

وحمل علي راية محمد:

ومشى كاشف الكروب وثوب الليث يجري وراء خيط النعائم
ركز الراية المجيدة دون الحصن يختال نسجها في المكارم

فاستشاط اليهود غيظاً وكروا ... كرة السيل والأسود الضياغم
أجفل المسلمون لم يبق منهم ... غير فرد عبل الكراديس دارم
فإذا (حارث) يصدّ (علياً) ... بحسام كالموت أحمر جاحم!
لم تكن غير ضربة وتردى ... (حارث) كالبناء وهن الدعائم[2]

وبعد:

فأتى (مرحبٌ) أخوه يثير الأرضَ رُعباً والجو رجع زمازم

غاطساً في الحديد درعين كانا ... نسج داود يوم طالوت حاكم
وعلى الرأس بيضة دسّ فيها ... صخرة ترجع الحسام شراذم

وحسامان صنعة الهند فالجبار يستصحب المنايا قوائم

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٨٦.

ويجـــر الـــرمح الـــرديني فـــيه شـــعبة تلـــتوي كلســـن الأراقـــم
هـــزّ في كفـــه المهـــند هـــزّا يبعـث الشـيب في الغـراب الداجـن
ثـــم أهـــوى بضـــربة لعلـــيّ فأطـــار المجـــنّ مـــن كـــف خـــاطم[1]

وبعد يا بولس:

وكـــوى ذو الفقـــار كـــفّ علـــيّ يهـتف اضـرب فلـيس حـدي بـراحم
مرحـب قـد أطـار ترسـك فـاغمد شـــفرتي إنـــي ألـــيف الجمـــاجم

واسقنيها حمراء صرفاً فخير الراح ما انبثَّ من عروق الغلاصم[2]

واستجاب عليّ لسيفه:

سمع الحصن مثل ولولة الزعزاع صوتاً والرعد يرفضّ هازم
فلق العضب هامة سيّجتها خوذة فوق صخرة وعمائم[3]

وهكذا أينما نجول مع الشاعرالعاشق لعلي عليه السلام نجد كل صفات الإمام شامخةً أمام كلماته و مشرقة بين حروفه فعلي رب السيف وبطل الإسلام:

كـــلما غـــرد الـهـــزار لنصـــر كـــان ذكـــر الوصـــي لحـــن الشـــادي
تتكـــنى بـــه الفـــوارس مـــن عـــز ويفـــتر ذكـــره في الـــنادي[4]

* * *

حـــيدر زوج فـــاطم وأبـــو الســـبطين والـــرمح يـــوم طعـــن الـــنحور[5]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٨٧.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٨٧.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ٢٩٥.
(٥) ملحمة عيد الغدير: ١١١.

وعلي فارس البيان وسلطان الفصاحة:

يـــا أمـــير البـــيان حســـبي فخـــراً أنـــني مـــنك مالـــئ أصـــغريا[١]

يـــا علـــي العصـــور هـــذا بـــياني صـــغت فـــيه وحـــي الإمـــام جلـــيا

أنت سلسلت من جمانك للفصحى ونسقت ثوبها السحريا[٢]

كـــان رب الكـــلام مـــن بعـــد طـــه وأخـــــاه وصـــــهره والوصـــــيا[٣]

وعلي عليه السلام مثال المروءة والنبل والطهارة:

بطـــل الســـيف والـــتقى والســـجايا مـــا رأت مـــثله الـــرماح كمـــيا[٤]

* * *

درعه الحق واليقين وقلب بالمروءات كالخضم الزاخر[٥]

* * *

نجدة الدين والمروءات والأخلاق وقف على الـهمام النجيد[٦]

* * *

فـــإذا كـــان طاهـــراً كعلـــي شـــدّ لله قلـــبه بأواصـــر

يذكـــر الله بكـــرةً وعشـــياً ويصـــلي في كـــل ومضـــة خاطـــر

فالمـــناجاة والصـــلاة عطـــور تـــتعالى إلى الســـماء مـــباخر[٧]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣١٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٤.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٤.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ٤٥.

(٦) ملحمة عيد الغدير: ٤١.

(٧) ملحمة عيد الغدير: ٤٨.

وربيب الرسول وابن مربيه المُعاني في البذل جهد الفقير
والفقيه العظيم أصوب خلق الله رأيا لطالب مستنير
وأمير الزهاد قبلا وبعداً حسبه في الطعام قرص الشعير[١]

* * *

لو مشى الناس وادياً وعليٌ وادياً فاتبع سراط العاقل
رأيُهُ حكمة السماء ونبع الحق فانزل على صفيّ المناهل[٢]

وعلي عليه السلام رب الأنفة والإباء فعندما وجد عثمان ـ من فرسان بني عبد الدار ـ نفسه يوم (أحد) تحت حدّ سيف الإمام عليه السلام لم يجد ترساً يتذرى به غير عورته:

ومضى ثالث الصريعين يهوي بالرديني للطعان عسولا
فرماه على الرغام عليٌّ فاتقاه بعورةٍ مخذولا
عورة يكشفونها فيغض الطرف ليثٌ جاز الحياة نبيلا
طرفه الثبت يصدع الشمس ثقبا ويولي عن القبيح مهولا[٣]

وكم هي رائعة إشارة الشاعر بالجمع في: (يكشفونها) إلى عمرو بن العاص الذي استفاد من تجربة عثمان هذا فتذرى بنفس الترس في صفين.

هكذا كان صهر أحمد يضفي نبله ملء سرحة الدهر فيا
هو فخر التاريخ لا فخر شعبٍ يدّعيه ويصطفيه وليا[٤]

* * *

أنا من يعشق البطولة والإلهام والعدل والخلاق الرضيا

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١١.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٠٢.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٧٠.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

فإذا لم يكن عليٌّ نبياً فلقد كان خلقه نبويا[١]

وهكذا حاولنا أن نتحسس صورة الإمام علي عليه السلام تلك الصورة الكامنة في وجدان الشاعر ورأينا ذلك الفتى الـهاشمي المفتول الساعدين المملوء نخوة وشجاعة وإيماناً بكل المثل القدسية وسمعنا حفيف الراية فوق رأسه الأشمّ وصليل السيف في يده المعطاء.

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣٦٢.

الباب الثاني:

عليٌّ ومحمّد

لاشك أن العلاقة المرموقة بين الإمام علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما سماها سليمان كتاني في كتابه (الكوثر المهدور) ـ علاقة مميزة كان القرآن أول من أشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[1] فقد أجمع كثير من المفسرين أن المقصود بأنفسنا الإمامُ عليٌّ عليه السلام وكذلك الروايات الكثيرة التي أكدت هذه العلاقة الفريدة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (علي مني بمنزلة رأسي من بدني)[2].

وقال: (الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة)[3].

وقال: (يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة)[4].

وقال: (يا علي أنت صفيي وأميني)[5].

وقال: (لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي)[6].

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأمالي، الطوسي: ٣٥٣، حلية الأبرار ٢:٤٢٤، الجامع الصغير، السيوطي ٢:١١٧، تاريخ بغداد ٧:١٢.

(٣) بحار الأنوار ٧٨: ٤٠، المستدرك ٢:٢٤١، كنز العمال ١١:٦٠٨.

(٤) أخرجه الترمذي في صحيحه ٢: ٢٩٩، وابن ماجه والحاكم في المستدرك ٣: ١٤، وابن حنبل في مسنده وابن سعد في الطبقات والسيوطي في الدر المنثور وغيرهم.

(٥) السنن الكبرى، النسائي ٥:١٢٨، خصائص أمير المؤمنين: ٩٠.

(٦) الخصال، الصدوق: ٥٥٥، تحف العقول: ٤٢٩، ينابيع المودة ١:٤٣، خصائص أمير المؤمنين النسائي: ٨٩.

وقال: (علي مني وأنا منه فلا يؤدّي عني إلا أنا وعلي)[١].

وقال: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[٢].

وقال: (من سب عليا فقد سبني)[٣].

وقال: (من آذى عليا فقد آذاني)[٤].

ومن خلال هذه الملحمة سنتابع الإشارات إلى تلك العلاقة والتي أكد الشاعر عليها تأكيد تأثر وإعجاب وتقدير وإشادة.

ولعل أول إرهاصات تلك العلاقة في الملحمة إشارة الشاعر إلى تعلق أبي طالب عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله ومن ثم اصطحابه معه في إحدى رحلاته إلى الشام وقصة لقائه بالراهب (بحيرا) فقد صور الشاعر هذه القصة في أبيات تتفجر رقة وجمالاً وإيماناً وصدقاً:

وأظل الركب العريض ببصرى ... سقف دير معبّق بالبخور

خف (سرجيس) ينثر التمر جوداً ... ويحز الجزور إثرَ الجزور

لم تكن تلك شيمة في (بحيرا) ... فهو في مثل نشوة المخمور

ما عراهُ ؟ رأى عصوراً بشخصٍ ... فاستشفَّ الإلهام خلف الستور

شامَ طه فخال ظلَّ إلهٍ ... يتمشى في المرمر المسحور

فدرى أن مكة عن قريب ... سوف تنحلّ من قيود الغرور[٥]

---

(١) خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ٩٠.

(٢) الكافي ٨:١٠٧، الأمالي، الصدوق:٢٣٨، شرح نهج البلاغة ٢:٥٩، كنز العمال ٥:٧٢٤.

(٣)الأمالي، الصدوق: ١٥٧، الأمالي، الطوسي: ٨٦ خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ٩٩، كنز العمال ١١:٥٧٣.

(٤) تحف العقول: ٤٥٩، الأمالي، الطوسي: ١٣٤، كنز العمال ١١:٦٠١، الإصابة ٤:٥٣٤.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ٣٢ ـ ٣٣.

وكما شاء الله حفظ رسوله طفلاً ويافعاً في كنف أبي طالب شاء أن تستمر تلك الرعاية بيد عليّ عليه السلام مساندة وعوناً ودفاعاً وفداء. نعم .. فقد كان الإمام عليه السلام وكما وصفه بولس سلامة (كنزا) رفد الله به دينه:

وحبا الطفل نابهاً هاشميا ... خصب عقل وساعداً من حديد
ورآه النبي كنزاً صغيرا ... طلعة الليث في بهاء العيد
فانتقاه لعشه فرخ نسر ... فهو من قلبه كحبل الوريد[1]

فحين بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله كان الإمام علي عليه السلام أول من آمن وصدق:

وتلا زوجة النبي علي ... بكر من آمنوا وبكر الخلود[2]
أول المسلمين لله طوعا ... بكره عند حوضه المورود

وعندما ثارت ثائرة قريش والمشركين من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وآله كان الإمام عليه السلام إلى جانب أبيه سداً منيعاً دون رسول الله:

قال: لن يبلغوا إليك فإني ... أسد الغاب واقفا بالوصيد
لا ينالون شعرة منك حتى ... تنثر الخيل جثتي في الصعيد
واستحر الشبل الفتيّ عليٌّ ... بين جفنيه شعلة الموقود
همّ فارفضّ جمعهم كبغاثٍ ... عبس الليث يا أرانب حيدي[3]

وعندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[4] وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب وعرض عليهم الإسلام وقال: (فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني؟) كان الإمام عليه السلام وكعادته دائماً المبادر ـ الوحيد بالتلبية:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٣٩.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٤٠.
(٤) الشعراء: ٢١٤.

أيّكم يتّبع هداي ويمشي ... في لوائي يكن أخي وعمودي
لم تحرك يدٌ ولا اهتز طرف ... أو لسانٌ يهمّ بالتأييد
كلهم غير واحدٍ تتشظى ... بين جنبيه جمرة الصيهود
قال والرأس في ارتفاع وعز ... وعلى القول نبرة الصنديد
قال: إني لها وإن كنت غض ... العمر فالسيف للعتاة بريدي[1]

فيهتز رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلن ما سبق له من علم الله في علي عليه السلام:

وإذا بالنبي يرسل قولاً ... رنَّ في مسمع الزمان البعيد
أنت مني ووارثي ووزيري ... وعلى الحوض أنت بكر شهودي[2]

ويوم وسوس الشيطان إلى جبابرة قريش بقتل النبي صلى الله عليه وآله بأربعين سيفا ليضيع دمه بين القبائل وأمر الله رسوله أن يأمر علياً بالنوم في فراشه ويخرج مهاجراً عن مكة كانت قصة التضحية والفداء الخالدة:

بيّتوا للنبي ميتة غدر ... تحت سدل من عتمة الليل ساتر
واستنابوا لصرعة الليث خِتلاً ... عصبة مثلت شتيت العشائر[3]

وهنا يأتي دور وجدان الشاعر:

يا ذئاباً حول العرين تعاوت ... إن ملء العرين ليثا خادر
لفَّ بردُ النبي صدر عليّ ... فالإطار السني ضمَّ المفاخر
هو ملء الثوب العظيم وطه ... ملء جفنيه والنهى والمشاعر
هو يفديه بالحياة ويرضى ... ألف موت به لو الله ناشر[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٤١.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٤١.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٤٤.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ٤٤ ـ ٤٥.

وهنا يقع الشاعر في مأزق لم يتمكن من الإفلات منه إلا بهذا العجز الركيك (ألف موت به لو الله ناشر) إلى أن قال:

إن ينم في مضاجع الموت حباً بالنبي العظيم فالله ساهر

ومرة أخرى يكبو الشاعر عندما أقحم: (مضاجع) في مكان (مضجع) ولعلها العجلة التي أوردته هذا المورد ولم تهده إلى أن يقول مثلاً:

إن ينم فوق مضجع الموت حبّا بالنبي العظيم فالله ساهر

ثم قوله: (بالنبي) فيه نظر فالأشهر منه قولنا: حبا للشيء وليس حبا بالشيء.

وعندما حان موعد هجرة عليّ عليه السلام إلى يثرب يضع الشاعر شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في مقدمة الأسباب:

هزّه الشوق للنبي فشد العزم يهفو إلى جماع المآثر[1]

وعندما يصل علي عليه السلام إلى يثرب كان رسول الله صلى الله عليه وآله في انتظاره بأشرف وأقدس مهمة ألا وهي كتابة وحي السماء:

تلكم الكف تسطر الوحي فالقرطاس كون يشع بالأنوار

بينها (النجم) و(الضحى) و(بروج) و(انشقاق) يجيء بعد (انفطار)
هذه الكف للمعارف باب مُشرع من مدينة الأسرار[2]

وحين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار توثيقاً لعرى المودة لم يجد كفواً له غير علي عليه السلام ورسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إنما أراد بهذا الاختيار وسواه لفت أنظار المسلمين إلى المكانة الخاصة لعلي عليه السلام والمنزلة العظيمة التي يُعدّه الله لها:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٤٦.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٥٠.

ويؤاخي النبي بين مضيف وضيوف تصدروا في الدار
فيصيرون كالتوائم وداً وائتلاف الأطيار بالأطيار
لم يؤاخ النبي غير علي حفنة التبر أدمجت بالنضار[1]

وفي الطريق إلى (بدر) ترمق عين رسول الله صلى الله عليه وآله أخاهُ عليا عليه السلام شاهراً سيفه يقطع البيداء راجلاً يتشوق إلى الجهاد دون الحق فتأخذه شفقة الأخوة والرحمة بعلي عليه السلام فينيخ بعيره ويردفه معه. ولا يفوت الشاعر رصد هذه اللفتة الرائعة من رسول الله تجاه أخيه وحبيبه عليه السلام :

سارت العصبة الضئيلة عداً وعتاداً وضمّراً ومهارى
راجلاً يقطع الفلاة عليّ ولهيب الرمضاء لذع جمار

فيراه محمد ويرق القلب والعين للفتى الكرار

فينيخ البعير يدعو عليا توأم الحب توأم الأسرار
ومتى آزر الحبيب حبيباً شام عرض الصحراء كالأشبار[2]

وعندما وصلوا بدراً وحان موعد النزال وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله ينظم صفوف المقاتلين والمدافعين عنه كانت الراية لعليّ:

ودعا (بالعقاب) رايته السوداء منسوجة بكف الضياء

واصطفى حيدر العصور عليا فلواء يعتزّ فوق لواء[3]

ويعود عليّ عليه السلام من (بدر) بعدما أبلى البلاء الحسن في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله يعود حاملاً فيئه من الغنيمة ذلك الدرع الذي يتمنى أن يفي بصداق فاطمة بنت الحبيب، وهنا يُبرز الشاعر لفتة من لفتات السماء لعلي عليه السلام باختياره بعلاً لسيدة نساء العالمين:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٥١ ـ ٥٢.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٥٦.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٥٨.

عـــاد إثـــر الوقـــيعة الـــبكر ليـــثٌ رمقـــــته القلـــــوب بالإيمـــــاء
ســـار خلـــف الـــنبي غـــير حفـــيّ بالـــــرياحين في أكـــف الإمـــاء[1]

فيا ترى أي أمر عظيم يشغل بال هذا الفارس؟

يـــلمس الـــدرع فيـــئه وهـــي كـــنز لفقـــــير لم يلتفـــــت للـــــثراء
أتـــــراها تفـــــي بمهـــــر عـــــروس أتـــــراه يُـــــردّ رَدّ جفـــــاء؟
وأبوهـــــا لـــــو رام عـــــدل صـــــداق مـــــال قـــــارون ظـــــل دون الوفـــــاء
دون مـــــا تســـــتحقُ إيـــــوان كســـــرى واللآلـــــي وحلـــــيةَ الـــــزبّاء
ولـــــو أن الدهـــــناء تـــــبر لكانـــــت بعـــــض شـــــيء بجانـــــب الزهـــــراء[2]

ولكنك أنت أيها الفارس علي بن أبي طالب!

جـــاء بيـــت الـــنبي والقلـــب خفـــق فهـــــو في مـــــثل رجفـــــة الـــــبرداء

قال: إني ذكرت فاطمة وانبتّ صوت مكبل بالحياء

فأجـــــاب الـــــنبي أبشـــــر علـــــيا خـــير صـــهرٍ مشـــى عـــلى الغـــبراء[3]

وزُوّج النور بالنور:

ويضـــمّ الـــنبي تحـــت جناحـــيه المديديـــــن مُنـــــية الأحشـــــاء
فعلـــــيّ وزوجـــــه مـــــنه بعـــــضٌ شـــيمة الكـــل شـــيمة الأجـــزاء
رفـــرف الســـعد فـــوق كـــوخ حقـــير لم يُدنـــــس بقســـــوة الأغنـــــياء
إن تكـــن قســـمة الغـــني مـــتاعاً فالإلـــــه الـــــرحمن للأتقـــــياء[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٦٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ٦٥.

وليت الشاعر أبدل (حقير) بصفة تليق به كـ(صغير) مثلاً. فليت شعري أي قصر منيف في الأرض أعز وأعظم من هذا الكوخ الذي يضمّ فاطمة وعلياً عليهما السلام؟

وعندما وُلد الإمام الحسين عليه السلام يمتد سبب آخر من أسباب اتحاد عليّ ومحمد عليهما السلام فالحسين هو مجدد ومحيي الشريعة المحمدية (حسين مني وأنا من حسين)[1].

حال حولٌ فلاح فجرٌ جديدٌ ... وصبيٌّ مغلفٌ بالسناء
وعليّ يكاد يدعوه (حرْباً) ... أَلِفَ الليثُ لذّةَ الهيجاء
فيجيب النبي هذا حسين ... هو سبطي وخامسٌ في الكساء
وعلت جبهة النبي طيوف ... كوشاح الغمامة الدكناء
لمح الغيب يالهول الليالي ... مُرعداتٍ بالنكبة الدهياء
وكأن الجفون تنطق همساً: ... يا إله السماء صُن أبنائي[2]

والحق أن الشاعر أمسك خيوط السيرة كلها بقلمه وهو يكتب كل حرف من ملحمته؛ فها هو عندما يتحدث عن مولد الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى استشهاده في كربلاء. وعندما تحدث عن أبي سفيان بن حرب وهو يطعن ثغر الحمزة بعد قتله في معركة أحد لا ينسى رأس الحسين عليه السلام ويزيد ينكث تغره الشريف بمخصرته:

شامتاً مرّ بالشهيد طروباً ... كالعريس السكّيرِ عبّ الشمولا
طاعنا بالقناة شدق قتيل ... صار شيئاً مهشماً مجهولا
يرهب الهرُّ لبدة الليث حيّا ... ويباهي بنهشه مقتولا!
أوليس السرحان جدّ يزيد؟ ... أورث الوُلد طبعه في الهيولى[3]

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٤٤، والترمذي ٢: ٣٠٧ والبخاري في الصحاح، والحاكم في المستدرك ٣: ١٧٧، وابن حنبل في مسنده ٤: ١٧٢، وغيرهم.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٦٦.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٧٥.

ومثال آخر على إمساك الشاعر بكل خيوط السيرة حين تحدث الشاعر عن أول يد بايعت علياً عليه السلام من الصحابة بعدما تداكّوا عليه كتداكّ الإبل الهيم على وردها أشار إلى تلك اليد بأنها هي ذاتها أول يد تنكث البيعة وتعلن الحرب:

حملوه للحرب حمل عروس ... في مطاوي حيائها تتهادى
وأحاطوا به إحاطة إبل ... حول ماء تدافعت وُرّادا
بالشؤم الأقدار أول كف ... مدّها (طلحة) فنزّت فسادا
أجمدَ البغض ما بها من عروق ... فانتهى حسها وصارت جمادا[1]

ويوم أحد عندما تناسى الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وفارقوا مكانهم الذي أمرهم بالثبات فيه فدارت الدائرة على المسلمين كان الإمام علي عليه السلام في مقدمة القلة التي ثبتت للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

وعليّ حاط النبي بسور ... من رؤوس أقام منها تلولا
ثابت والجراح مدت رداءً ... من عقيق غطاه إلا قليلاً[2]

ويوم الخندق ذلك اليوم الذي شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد المسلمين أنّ علياً عليه السلام هو الإسلام كله ـ (برز الإسلام كله للكفر كله)[3] ـ وأثبت لهم أن لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وأطلق عبارة لازالت تمدّ ظلالها الأزلية على الزمن لتثبت للتاريخ مكانة عليّ من رسول الله ودوره الذي لا يقوم به سواه عندما قال داعيا له بعدما برز لبطل يليل عمرو بن عبد ود العامري: (اللهم أعنه عليه هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً)[4]. نعم فرسول الله صلى الله عليه وآله يستشعر الوحدة دون علي عليه السلام وإن كان أهل الأرض كلهم حوله وقتل عليٌّ عمراً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٤٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٧٢.

(٣) الخصال، الصدوق:٥٧٩، إقبال الأعمال ٢:٢٦٧.

(٤) أخرجه المتقي في الكنز ١١: ٦٢٣، والديلمي في مسند الفردوس.

(إن قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين)[١].

ضـــربة ذكـــرها يظـــلّ فتـــياً بعـــد مـــوت الـــزمان بعـــد فـــنائه
هابهـــا الضـــيغمان كســـرى وروما وتغـــنى الحـــادي بهـــا في حدائـــه[٢]

ويوم خيبر عندما اعتصم اليهود بحصنها الحصين يقف الشاعر أمام ذلك الحصن لينقل وينقش صورته بحروفه أمامك ويصور لك ثقة اليهود بقدرته على حمايتهم:

قلعـــة الســـهل يـــا مطـــل الغمـــائم ومقـــرّ الخـــنى وكـــف المـــآثم
تـــرمقين الحجـــاز نظـــرة كـــبرٍ خطـــرة الـــزهو في أســـارير غاشـــم[٣]

ومرة أخرى صورة جديدة يرسمها الشاعر لذلك الحصن الذي تستحم النجوم فيه سكارى رمزاً لعلوه وشموخه:

واســـتعاذ الـــيهود بالحصـــن شمخـــا جـــاور الغـــيم والنســـور الحوائـــم
تســـتحم الـــنجوم فـــيه ســـكارى كـــالغواني تـــبرجت للمواســـم[٤]

وبالفعل فلقد أعيا المسلمين فتح تلك القلعة ويرجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرجعون الواحد تلو الآخر ليعيد الراية إلى النبي معلناً عجزه عن اقتحامها فيهتف رسول الله في الناس جميعاً (لأعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار)[٥] ولم يعن غير علي عليه السلام وفي الغد أعطاه الراية وهتف مرة أخرى ليُسمع الأجيال كلها (يا علي والذي نفسي بيده إن معك من لا يخذلك هذا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٢، والخطيب في تاريخ بغداد والرازي في تفسيره الكبير.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٨٢.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٨٣.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ٨٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٢٠، ومسلم في صحيحيه والطبراني في معجمه ٦: ٢٦٢، والبيهقي في سننه ٦: ٣٢٦، وأبو نعيم في حليته ١: ١٠١، وابن حنبل في مسنده ٥: ٣٢٣، وسنن الترمذي ٢: ٣٠٠، وابن ماجه والحاكم في المستدرك وغيرهم.

جبرائيل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالجنة والرضوان يا علي إنك سيد العرب وإني سيد ولد آدم)[1].

قـــال إنـــي غـــدا ســـأعطي لوائـــي رجـــــلاً راح مفـــــرداً في الأوادم

قد أحبّ الإله حتى كأن الله في قلبه خفوق ملازم

وأحـــب الرســـول حـــتى تحـــدّى كـــل مـــا ضـــمَّت الدنـــى مـــن عـــوالم

أعجـــز المخلصـــين قـــبلاً وبعـــدا والمحـــبين في العصـــور القـــوادم

وهـــو حِـــبُّ الـــرحمن وهـــو حبـــيبي قاســـم مـــات فهـــو عـــندي قاســـم[2]

وهكذا نرى الشاعر يركز على محبة الإمام لرسول الله وإخلاصه المنقطع النظير لـه في هذه الأبيات التي لم يتمكن من بنائها البناء الموازي للمعاني التي قصدها فاستخدامه لـ(كأن) في قوله:

قـــد أحـــب الإلـــه حـــتى كـــأنّ الله في قلـــبه خفـــوق مـــلازم

أخرجت البيت إلى معنى لا يتناسب مع قدسية الإمام عليه السلام الذي لامكان لـ(كأن) في الحديث عن وجود الله الدائم في قلبه. وقوله: (رجلا راح مفرداً في الأوادم) فيه من الركاكة والضعف ما يكاد يخرجه عن حد الشعر. وقولـه: (أعجز المخلصين قبلا وبعدا) أعاده مكروراً في عجز ذات البيت بقولـه: (والمحبين في العصور القوادم) فقوله: (قبلا) في صدر البيت مغنية غناء تاماً عن عجز البيت الذي جاء تحصيل حاصل وحشواً لا ضرورة لوجوده البتة.

والشاعر يَدلّه إيمانه بعلي عليه السلام كبطل الإسلام الأول وساعد رسول الله الأيمن يدلـه ذلك على اختيار المواقف المعبرة عن هذه المعاني العظيمة لتزيين ملحمته بها. فها هو يختار فيما اختار موقف الإمام عليه السلام يوم وادي الرمل حيث اجتمع بنو سليم

---

(١) ميزان الاعتدال ٤:١١٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٨٥.

وبيتوا الشر لرسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وبعدما بعث إليهم عدداً من السرايا فيعودون بالهزيمة والانكسار لم يجد بُدّاً من انتداب لوائه الذي لا ينتكس وسيفه الذي لا يُفلّ فعقد اللواء لعلي عليه السلام قائلاً: (أرسلته كرارا غير فرار)[1] ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه وافعل به وافعل)[2]. وعاد علي عليه السلام مسبوقا بالقرآن يبشر رسول الله صلى الله عليه وآله بالنصر والغنيمة فيقوم رسول الله ويقوم أصحابه لاستقباله، فلما بصر علي بالنبي ترجل عن فرسه إجلالاً لرسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وآله: (اركب فإن الله ورسوله عنك راضيان)[3] فبكى عليّ وهتف رسول الله مرة أخرى للتاريخ: (يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملإ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك)[4].

أين من يكشف الخطوب إذا ما ... لبس المسلمون ذل انكسار
فدعاه النبي فافتر بشرا ... وأتى الزوج يبتغي ذا الفقار
ناوليني عصابة الموت إني ... سألاقيه كالمهند عارِ

فرنت نحو طفلها وتهامى اللؤلؤ الرطب عابراً في النضار
يالدمع الزهراء تحضن طفليها فتسقي براعم الجلنار
صُنه يا ربّ إنه زوج بنتي وابن عمي ووالدّ لصغاري
هكذا قال أحمدٌ وعلي قد أعدّ الخطاف للأعمار[5]

---

(١) الإرشاد ١:١٦٣، بحار الأنوار ٢١:٧٨.

(٢) الإرشاد ١:١٦٣، بحار الأنوار ٢١:٧٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢:٣٣، بحار الأنوار ٢١:٧٩، كشف الغمة ١: ٢٣٢.

(٤) كشف اليقين: ١٥٢.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ٩١.

وبعد أن أخمد عليٌّ نائرة أولئك الأشرار:

هبَّ طه وصحبه للقاء النسر يأتي مجللاً بالفخار

فتهاوى الأمير فرط حياء أين منه خفارة الأزهار

ويقول النبي اركب فإنّ الله راضٍ عن حيدر كرار

وأنا من علمت حباً وقربى فبكى الليث دمعة استعبار[1]

وينطلق البيان المحمدي الخالد:

ويقول النبي آه لو أني أستطيع الإفصاح عن أسراري

إن ما قلتُ في مديح عليّ ليس إلا صبابة من بحار

فإذا قلت ما استحق فإني بتُّ أخشى ضلالة الكفار

فيصير الوصي معبودَ قوم لا يبالون بعدها بعثار

يلثمون التراب حيث يدوس الرمل فالرمل مسكة العطار

واجباً للفتوح كان علي كوجوب الغيوم للأمطار[2]

ويضرب الشاعر هنا مثلاً رائعاً لعلي والفتوح الإسلامية بالغيوم للأمطار ولقد أجاد وأحسن فكما لا تكون الأمطار بغير الغيوم لا يكون فتح ـ ولن يكون ـ بغير علي عليه السلام.

وكما سبق وأشرنا إلى هدف السماء ورسول السماء صلى الله عليه وآله من لفت أنظار المسلمين في كل مناسبة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام والإشادة بفضله والإشارة إلى مكانته العظيمة وان ذلك ما كان إلا إرهاصات ومقدمات تمهد لخلافته العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله. وعندما يعود رسول الله من حجة الوداع وينزل أمر الله تعالى في إعلان الخلافة لعلي عليه السلام: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ**

(١) ملحمة عيد الغدير: ٩٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٩٣

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١].

وليت شعري أي شيء أعظم من أمر لا تتم جهود رسول الله صلى الله عليه وآله العظيمة ورسالته إلا به ويتمثل خاتم الأنبياء لأمر ربه ويعلن على رؤوس الأشهاد (من كنت مولاه فهذا مولا)[٢] فينزل رضا الله وشهادته لرسوله في ذلك اليوم المشهود ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾. ومن هنا من هذه النقطة انطلق الولاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتبارى الخطباء والشعراء في وصفه والإشارة إليه حتى جاء دور شاعرنا الذي خصّهُ بهذه الملحمة:

عاد من حجة الوداع الخطير ... ولفيف الحجيج موج بحور
لجة خلف لجة كانتشار ... الغيم صُبحاً في الفدفد المغمور[٣]

ووصل العائدون بطحاء خمّ:

بلغ العائدون بطحاء (خمّ) ... فكأن الركبان في التنور

عرفوه غدير خمّ وليس الغور إلا ثمالة من غدير
أي مستنقع وخيم كأن الماء فيه غضارة من قير

بلغوه لا يحمدون مقيلا ... بل يحثون نوقهم للمسير
وإذا بالنبي يرقب شيئا ... وهو في مثل جمدة المسحور[٤]

وجاء أمر السماء:

جاء جبريل قائلاً: يا نبي الله بلغ كلام رب مُجير

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٨٤، والترمذي في صحيحه ٢: ٢٩٨، والطبري في مسترشده والنسائي في خصائصه: ٥٠، والذهبي في الميزان ٢: ٦٤٠ والبيهقي في سننه والحاكم في المستدرك ٣: ١٠٩، وغيرهم.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٠٦.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٠٧.

أنت في عصمة من الناس فانثر بينات السماء للجمهور
وأذعها رسالة الله وحيا سرمدياً وحُجة للعصور[١]

وحشد الناس بمحمد:

حسب طه إيماءة وتكر الناس كالهيم أحدقت بالنمير

بين غمر يلوي لجام حصانٍ وحكيم يثني خطام بعير
هيبة لم تكن لقيصر روما ونفتها الأيام عن ازدشير
واستداروا كهالةٍ حول بدر يغمر الأرض بالشعاع المنير
يحسِبون الأصوات فالسمع يحصي خفقة خفقة وجيب الصدور[٢]

لبيك يا محمد:

واشرأبت أعناقهم مُتلعات كالغرانيق أشعرت بالنذير

كلهم يرقب البيان وما في الأمر شك فالقول جدٌّ خطير[٣]

وهتف محمد:

أيها الناس ـ قال ـ أوشك أن أُدعى وإني وإنكم لنشور
وكلانا يجيب: هل تشهدون الحق أني بلّغت أمرَ القدير
أدركوا لهجة النعيّ خلال القول فالصوت في جلال القبور

عبرات ملء العيون وكبت في حلوق تأججت بالزفير

إننا شاهدون ـ قالوا ـ جزاك الله خيراً من ناصح ومشير

أَوَلاَ تشهدون أن لا إله غير ربٍّ فرد رحيم غفور
وبأني عبدٌ له ورسوله لم يقصر في النصح والتبشير

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٠٨.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٠٨.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٠٨.

وبأن الممات حق وأن البعث حق لجنة أو سعير

للبغاة الأشرار سوط عذاب للمياميين كسوة من حرير
فأجابوا بلى فقال: إلهي أنت فاشهد لعبدك المأمور[1]

وهتف محمد:

أيها الناس إنما الله مولاكم ومولاي ناصري ومجيري
ثم إني وليّكم منذ كان الدهر طفلاً حتى زوال الدهور

يا إلهي من كنت مولاه حقاً فعليّ مولاه غير نكير

يا إلهي والِ الذين يوالون ابن عمي وانصر حليف نصيري

كن عدوّاً لمن يعاديه واخذل كل نكس وخاذل شرير
قالها آخذاً بضبع عليّ رافعاً ساعد الهمام الهصور[2]

وإلى هنا ينتهي دور السيرة والتاريخ ليبدأ دور وجدان الشاعر ذاته:

فكأن النبي يرفع بند العز عيداً للقائد المنصور

راوياً للزمان فضل عليّ باسطاً للعيون حقّ الوزير

حيدر زوج فاطم وأبو السبطين والرمح يوم طعن النحور
وربيب الرسول وابن مُربيه المعاني في البذل جهد الفقير
والفقيه العظيم أصوب خلق الله رأياً لطالب مستنير

وأمير الزهاد قبلاً وبَعداً حسبه في الطعام قرص الشعير[3]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٠ ـ ١١١.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١١١.

ويختصر الشاعر رأيه في الغدير كحدث تأريخي حاول البعض التشكيك في مغزاه!

بـــثَّ طـــه مقالـــة في علـــيّ واضـــحاً كالـــنهار دون ســـتور
لا مجـــاز ولا غمـــوض ولـــبس يســـتحثُّ الأفهـــام للتفســـير[1]

وبعد يا بولس:

عيدك العيد يا علي ... فإن يصمت حسود أو طامس للبدور
تنطق البيد ناثرات على الصحراء وشياً من كل زهر نضير
وتحول النجوم في الليلة الزهراء لُسناً فضيّة التعبير

ينشـــر الـــورد طيـــب ذكـــراه فوحـــاً فعلـــيّ مـــرجّعٌ في العطـــور

في النسيم الريان في بسمة الإصباح خفت على الجمان النثير

في هـــتاف الطـــيور هبّـــت نشـــاطاً مـــرهفات الـــلها عصـــاة الوكـــور
كـــلما غـــرد الهـــزار قـــرارا هـــاج لحـــن الجـــواب في الشـــحرور[2]

ويختم الشاعر هذه القطعة الجميلة بأبيات أجمل لأنها انبجست من وجدانه زاخرة بالحكمة:

عفـوك السـمح يـا علـي عـن الحسـاد فـــالعُمي حُسّـــدٌ للبصـــير
ينـــثرون الســـهام للنســـر طعـــناً وحـــبوب الطعـــام للعصـــفور

يُرهب الليث آجماً والضعيف الـهرّ يغدو مُنعماً في الدور

كـــلما حـــاول الكـــريم عـــبوراً وقـــف الشـــؤم دونـــه في العـــبور

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٣.

لا تكاد العيون تلمح ظل الخير حتى تجوز بحر شرور

إنما الخير فلذة من ضياء كفنتها الأهواءُ بالديجور

أنزل الله آية عقب ذاك اليوم ختما لدينه المبرور

كان وهج الشروق يوم حراء وجلال المغيب يوم الغدير[1]

الله كم هو رائع هذا البيت الأخير حتى لتكاد كل أبيات الملحمة أن تسجد له إجلالاً وتعظيماً.

وكما شاء الله يصل التاريخ إلى آخر حلقة من سلسلة المجد المحمدي العلوي في حياتهما المجيدة سلسة الولاء والوفاء والفداء التي كانت وستبقى النموذج الذي يعجز غير محمد وعلي عليهما السلام عن تحقيقه مرة أخرى لا لشيء سوى أن ذينك الرجلين بشخصيتيهما الفريدتين قد عقم الدهر أن يلد مثيلين لهما، ولأن السماء كانت وراء تلك العلاقة السامية بينهما والتي بها ومنها أراد الله تحقيق السعادة للبشرية:

ويصل رسول الله صلى الله عليه وآله فراش المرض ويثبت الشاعر تلك اللحظات في ملحمته بأبيات تفيض صدقاً وتأثرا:

ورأت حكمة السماء ثواباً وخلوداً لكرمها أن يزولا

غلغل البرد في أصول الدوالي وتمشى على الجفون ذبولا

دبّ وهن الفناء في جسم طه فالنبي العظيم بات عليلا[2]

ويأتي دور عليّ ليتسلم مواريث النبوة:

أقبس الوامق الحزين عليّ مشيةَ العبد راسفاً مغلولا

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٤ ـ ١١٥.

فحباه النبي خاتمه العلوي قدراً والمستحيل عديلا
وحباه حمائل السيف فوق الختم رمزاً لا يقبل التأويلا
أي ذخر إزاءه كنز قارون وكسرى يظل نزراً قليلا[١]

وأراد النبي أن يضع النقط على الحروف وينبّه المتغافلين:

قـــال آتـــوا بمـــرقم ودواة إنـــني مُنشـــئٌ كـــتاباً جلـــيلا
لا تضـــلون بعـــده فهـــو ســـفر يمـــنع الله نصّـــه أن يحـــولا

لم يجيبوه للذي رام بل راحوا مُفيضين في الشقاق طويلا[٢]

ويفيض وجدان الشاعر ليرفد تلك الحقيقة المؤلمة بهذا البيت الرائع:

يرهـب الـنورَ مـن يـرى الـنور كشـفاً لبـــيانٍ يـــودُّهُ مشـــكولا!![٣]

أجل يا بولس:

يرهـب الـنور مـن يـرى الـنور كشـفاً لبـــيانٍ يـــودُّهُ مشـــكولا!!

ويغمض رسول الله ﷺ جفنيه لتعرج روحه الطاهرة المقدسة إلى بارئها!!

مـــات مـــا بـــين فـــاطم وعلـــي يالقطـــبين يشـــهدان الأفـــولا
فـــبدت وجـــنة الخـــزام جـــراحا وبـــدا عـــارض الحســـام فلـــولا[٤]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١٦.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٦.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ١١٧.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ١١٧.

الباب الثالث

علي بعد محمد عليهما السلام

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه صلى الله عليه وآله عندما ناداه (فلا تذرني فرداً) فلم يَدَعه يذوق مرارة الوحدة فكان الإمام علي عليه السلام طيلة حياته ـ ملازماً لـه كظله يعينه ويدفع عنه. أمّا عليّ عليه السلام فلقد تجرع مرارة الوحدة وحتى الثمالة. فما إن أغمض رسول الله صلى الله عليه وآله جفنيه استسلاماً لأمر ربه حتى بدأت قصة وحدة عليّ عليه السلام، تلك الوحدة التي أوجعت وأبكت كل قلوب المؤمنين:

لم يـــرعه إلا الرســـول يـــوارى لم يـــرعه إلا الـــتراب مهـــيلا[1]

وكانت البداية:

وتوالت تحت السقيفة أحداثٌ أثارت كوامناً وميولا

تـــارة تطلـــع الـــزعازع غـــرباً وتهـــب النكـــباء حيـــناً قـــبولا

نزعات تفرقت كغصون العوسج الغض شائكاً مدخولا

والمجلـت عـن ضـياع حـق (ولـي) كـان إلا عـن حـزنه مشـغولا[2]

ولقد قام الشاعر بجولة كاملة في حياة الإمام عليّ عليه السلام بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله. ونحن بدورنا سنتابع نقلاته إزاء تلك الحقبة وسنرى أن الشاعر بتقصيه لأحداث تلك الفترة لم يكن يثبت أحداثاً تأريخية فقط، بل كان يستكنه ما وراء تلك الأحداث ويسجل رؤيته الخاصة تجاه ذلك الاستكناه. وسنرى أنه خلال ذلك كله أراد أن يقول إن الإمام علياً عليه السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً أو قائماً كان همّهُ

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١٨.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٨.

الأول الحفاظ على بيضة الإسلام مهما بلغت تضحياته هو في هذا السبيل في الوقت الذي كان المناوئون لـه يسعون ومنذ اللحظة الأولى لسحق الدعوة الإسلامية وإعادة أمجادهم الجاهلية أو تحويل مسار الدعوة لخدمة مصالحهم وأطماعهم على أقل تقدير.

فبعد أن اختصر الشاعر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في بيت واحد فقط تجنباً للحساسية الشديدة لتلك الفترة وانعكاساتها على مسيرة الدعوة الإسلامية بقوله:

وتوالـــت مـــبايعاتٌ ثـــلاثٌ طمســت نــور حقــه المــأمولا[1]

وهاهو وحتى في هذا البيت الواحد لا يترك الإشارة إلى حق علي المطموس نوره. ثم يعلل وبوضوح تام سكوت علي وصبره بصيغة الاستفهام الإنكاري:

أيســل الســيف الحســام فــتغدو هضــبات الحجــاز حمــراً وحــولا
وتعــيد الأصــنام دولــة عــز ويعــود الشــرك المزمجــر غــولا
ويمــوت الإســلام في المهــد طفــلاً شــارقاً في نجــيعه مطلــولا؟؟[2]

الجواب بالطبع كان وسيكون: لا. وإن سألت لماذا فالشاعر يجيبك:

غارس الروض من رواه بدمع العين لا يرتضيه إلا خضيلا[3]

ويستدرك الشاعر هنا أنّ الإمام عليه السلام لم يتوقف لحظة واحدة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن أداء رسالته القدسية وخلافته الفعلية وأنه كان كعبة طلاب العلم والفضيلة:

طــال لــيل الأســير والــهم وقــر شــيمة الــرزء أن يكــون طويــلا

ويتعثر قلم الشاعر في اختيار قافية البيت الأول من هذه الأبيات. فلا أجدر من (ثقيلاً) قافية للبيت لمناسبتها التامة لقوله: (والـهمّ وقر) فإن الرزء وإن قصرت مدته

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١١٨.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١١٨.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١١٩.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١١٩.

لا يسمى إلا رزءاً.

ثم يؤكد الشاعر أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن مفزع أفراد الأمة الإسلامية فحسب بل إنه كان مفزع الخليفتين أبي بكر وعمر في الملمات:

أيـــن عهـــد الخليفـــتين تـــولى ذاك عهـــد الـــزهاد في إبانـــه
يستشـــيران في الصـــعاب عليّـــاً فـــيؤدي مـــن قلـــبه ولســـانه[1]

وينتقل الشاعر إلى خلافة عثمان ليصور ما اكتنف تلك الخلافة من سلبيات وليقف طويلاً عند حادثة إقامة الإمام علي عليه السلام حدّ السكر على الوليد بن عقبة الأخ المدلل لعثمان لأمّه ـ والذي قال فيه أهل الكوفة بعد أن ولاه عثمان عليهم (أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد) ـ يقف الشاعر عند هذه القصة ليثبت أن الإمام علياً عليه السلام هو ـ وهو وحده ـ حرز الشريعة المحمدية وحصنها الحصين، فبعد أن علم الإمام عليه السلام بأن الوليد صلى بالناس وهو سكران وقف وقفته المشهودة ولم يهدأ حتى أقام الحد عليه بيده في مجلس أخيه عثمان:

جيء بالفاسق الخليع أخي عثمان من أمه فيا لحنانه

رام أن يـــرذل الشـــهود دفاعـــاً عـــن أمـــير المجـــان عـــن سـكرانه[2]

* * *

وأتي حافظ الشريعة سيف الله نور المصباح في فرقانه

هـل أقمـت الحـدود؟ فالذنب أجلى مـــن وضـــوح الـــنهار في ريعانـــه
غصّـــت الـــدار بـــالوفود شـــهوداً مـــن ثقـــات العـــراق مـــن أعـــيانه
وضـــح الفســـق مـــن يقـــوم لجلـــدٍ والخلـــيع اســـتوى بـــدار أمانـــه[3]

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٢١.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٢٧.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٢٧.

وقام عليّ عليه السلام:

قـــام للفاســـق الخلـــيع هصـــورٌ يـــنطوي ســـرّهُ عـــلى إعلانـــه!

غاض لون الوليد خوفاً وبان الحقد سُم الصلال في زعفرانه

وعـــلاه الســـوطُ الألـــيم وعـثمان يـنمّ الجهـوم عـن فورانـه!

هـــمّ أن يـــردع الولـــي علـــيّا مـن يصـدّ الشـاهين عـن غربانه؟[1]

وبعد ما عاد الأمر والحق إلى نصابه وتداكّ الناس على عليّ عليه السلام ـ بعد مقتل عثمان ـ كتداك الإبل الـهيم على وردها. كان عليه السلام يضع نصب عينيه ـ وهو يمدّ يده للبيعة ـ تقويم كل ما اعوج من أمور المسلمين.

ويقف الشاعر عند هذه النقطة:

أزهد الناس منذ ما عرف التاريخ زهداً فخلد الزهادا

رام تقويـــم كـــل جـــذع مـــريد بهظـــته أهـــواؤه فانـــادا

يغمـــر الـــناس عدلـــه بالعطايـــا لا يـــرى أعـــبُداً ولا أســـيادا

هالـــه أن يـــرى دمـــوع اليـــتامى والمســـاكين تمـــزق الأكـــبادا

ويرى المسرفين تنهب بيت المال في جنة النظام اطرادا[2]

وماذا كانت النتيجة؟

طُمست سنة الرسول فأحياها عليٌّ وجدد الأبرادا[3]

ولكن المتربصين بالإسلام الدوائر والمتلبّسين به لتحقيق أطماعهم الدنيوية ونوازعهم الحاقدة لا يروق لـهم خط علي عليه السلام الذي قطع الطرق على كل منافق:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٢٨.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٤٤.

ألِف الناس لذة البذخ فالأكناف خضر والأرض لانت مِهادا

وعسير كبح الجماح إذا ما بطر المهر ناعماً وتمادى[١]

ويبدأ طلحة والزبير بإشعال الفتنة:

وأطلت عبر الظلام عيونٌ حوّل الحقد نورها أزنادا

طلحة والزبير شيخا قريش يقدمان البغاة والحسادا[٢]

وكان قميص عثمان الستار الذي حاول أولئك إخفاء وجوههم وراءه:

ومشت جبة القتيل بريداً لدمشق تثيرها أحقادا!

يا قميصاً فوق المنابر مثقوباً خضيباً يفتت الأعوادا!

ما أرادوك غير فتنة شعب فأثاروا بنشرك الأوغادا

فتنة راش سهمها عبد شمس فأصابت من هاشم أولادا

إنما العبشمي خصم (عليّ) وقِلاهُ يلازم الميلادا[٣]

ويتحرك معاوية في الشام وراء أحقاده وأطماعه رافضاً الانصياع لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين شاقاً عصا المسلمين مُفرقاً كلمتهم.

وقف الطامع الحريص ابن هند يرسل الطرف من ذرى قاسيونا

أيخلي هذي الرياض وينحو جانب البيد خاسراً محزونا

فليثرها خلافة ويذر التبر ذرّاً فالمال يعمي العيونا[٤]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٤٤.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٤٥.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٥٩.

ولقد أجاد الشاعر وأحسن في توظيفه الرائع لـ (يذرّ) بدل (يصبّ) التي تستخدم عادة للتعبير عن إغداق الأموال وهو بذلك هيّأ الذهن لإدراك الهدف من صب تلك الأموال الذي لم يكن إلا طمس العيون وإدارتها عن إبصار الحق.

وليصانع فالمكر أجلب للدنيا إذا باع دينه واليقينا
وليطالب بدمّ عثمان ولينشر قميصاً به يثير الشؤونا

كل عصر له قميص دهاء لوّنته مطامع الماكرينا
هزل الدهر يا معاوي فانشر مطمعاً بارزاً وبغضاً دفينا[1]

ويُدفع عليّ عليه السلام لحمل السلاح والشاعر يؤكد أن قتال عليّ عليه السلام لم يكن إلا غضباً لله ولرسوله:

وأتاهم للحرب أقطع خلق الله سيفاً وأصدق الناس دينا[2]

ويثور الخوارج في أعقاب التحكيم:

وتنادت للنهروان قروم ردها الغيّ بعد وُدّ خصوما
وتباروا إلى النزال وقالوا إن قُتلنا كان الجزاء النعيما[3]

* * *

عصفوا عصفة الرياح إذا ما الريح هبّت على الرمال سموما!
بسيوف على العواتق أجّت كالتماع البروق يتلو الهزيما

مرهفات تهوي على البيض تفريه وتفري العظام والحلقوما[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٥٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٦٠.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٧٤.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٧٥.

وينادي فيهم الإمام علي عليه السلام نداء الحق والرحمة:

فدعـــاهم إلى الأمـــان علـــيٌّ ناشـــراً رايـــة الســـلام رحـــيما[١]

شيمتي الصفح وهي شيمة أجدادي، ذكرت الكريم إبراهيما[٢]

وأبى المارقون إلى القتال:

فأشـــاحوا عـــن نصـــحه وتـــنادوا مـــن يصـــالح يكـــن خبيـــثاً عديمـــا[٣]

ولا أدري أي ظلال لـ(عديم) هذه التي احتلت مكاناً غير مكانها في هذا البيت وكأني بك أنت أيضاً تلمح صاحبة الحق في التربع قافية لهذا البيت وهي كلمة (ذميماً).

فكان لابد لولي الأمر من ردع أولئك المارقين هو وخيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقاموا إلى السيوف ينصرون الحق:

فالـــتقاهم (حجـــرٌ وشـــيتٌ وقـــيسٌ) وصـــحاب الـــنبي شوســـاً قـــروما

وعلى رأسهم يهزّ أبو أيوب سيفاً ما نام قط ذميما

صـــفوة الأكـــرمين حـــزب علـــيّ ينصـــرون الحـــق الصريح الـــهضيما[٤]

والواقع أنّ الشاعر انتبه ونبه إلى الدور الخطير واليد الطولى لبني أمية وراء تلك الأحداث وذلك الشغب الذي اكتنف مدة خلافة الإمام عليّ عليه السلام؛ بل وحتى مدة خلافة عثمان فهاهو يقف عند عودة طريد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص ليسأل:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٧٤.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٧٥.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٧٥.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٧٥.

إيـه عـثمان كـيف جئـت بوغـد تسـتجير الأنـوف مـن أدرانـه
(حكـم) كـان خصـم أحمـد حـتى ضـجّ مـنه العـداء في عدوانـه[1]

ويقف مرة أخرى ليعجب من تقريب الوزغ بن الوزغ مروان وتزويجه وإطلاق يده في أمور الأمة ولا يقف الشاعر هذه المرة ليسأل بل ليقرر:

جـاء (عـثمان) بـابن صـلّ طـريدٍ وحـباه الـدفيء مـن أحضـانه!!
هـيجّ الـدفءُ نـاقعَ السـمّ مدفونـا فوخـز المـنون في أسـنانه!
وابـن عفـان سـادر لا يـبالي أن يفـل النـيوب مـن أفعوانـه
فحـباه السـلطان أي ظلـوم يسـتعيذ الإبـاء مـن سـلطانه[2]

لماذا يستعيذ الإباء من سلطانه أيها الشاعر؟

وهاهو الجواب:

أمـويّ في ألـف لـون مُريـب ودهـاء الحـرباء في ألوانـه[3]

ويجتاز الشاعر ببيت مال المسلمين الذي أصبح طعمة لبني أمية يعبثون بعرق المسلمين وحقوقهم كيف شاؤوا:

بيـت مـال الإسـلام صـار مشـاعاً بـين وُلـد الأمـير أو خلانـه
أمويـون بيـنهم نسـل (حـربٍ) أي فضـل أتـى أبـو سـفيانه؟
لـيس خصـم الـنبي غـير طلـيق ألـف شـك يغـض مـن إيمانـه

ويضرب الشاعر هنا على الوتر الحساس جداً عندما يذكر أبا سفيان فيسأل: (أي فضل أتى أبو سفيانه؟) ويقرر: (ألف شك يغض من إيمانه).

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٢٢.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٢٢.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٢٢.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٢٣ ـ ١٢٤.

وكما أشرنا سالفاً أنّ الشاعر لا يتجاوز حتى دور بني أمية في إفساد الأمر على عثمان وقتله فيبين أنهم كانوا وراء فساد رأيه وأن تخليهم عنه كان وراء مقتله:

وتخلّـــى بـــنو أمـــية عـــن شـــيخٍ ضـــعيف يـــذوب في أشـــجانه
أفســـدوا رأيـــه فكـــانوا خـــيوطاً نســـقتها الأهـــواء في أكفانـــه[1]

ثم ينتقل الشاعر إلى الشام ليتحدث عن معاوية الذي أحلّ مال الأيتام للطغاة من أعوانه وأشاد القصور من مهج الأيتام ودموعهم:

فابن هند يُحل مال اليتامى للرشى للطغاة من أنصاره

شاد قصر الخضراء من مهجة الأيتام سالت عيونهم لاخضراره

وكأن القلوب وهي جياعٌ فلذاتٌ تنزّ تحت حجاره[2]

وعندما رفع معاوية قميص عثمان مطالباً بدمه من عليّ عليه السلام يضع الشاعر يده على الباعث الحقيقي لذلك ويبيّن أصل تلك العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام:

يا قميصاً فوق المنابر مثقوباً خضيباً يفتت الأعوادا

مـــا أرادوك غـــير فتـــنة شـــعب فأثـــاروا بنشـــرك الأوغـــادا
فتـــنة راش ســـهمها عـــبد شمـــس فأصـــابت مـــن هاشـــم أولادا
إنمـــا العبـــشمي خصـــم (علـــي) وقـــلاه يـــلازم المـــيلادا[3]

وتصل غضبة الشاعر على بني أمية ذروتها عندما يتحدث عن دماء المسلمين التي أراقها معاوية في صفين:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٢٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٣٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٤٦ ـ ١٤٧.

واستحر القتال حتى تغطت جبهة السهل بالنجيع سخينا
شهق النهر من دماء الضحايا واستحال الخرير فيه أنينا
وأراد الأمير حجب دماء لم يُرقها إلا نبيلا ضنينا
ساقها للحتوف داهية الأعصار حتى تقحمت أتونا[1]

ويفجر الشاعر قنبلته:

أغبياء لعل فيهم بريئاً (إن يكن في أمية مسلمونا)[2]

وحين يتحدث الشاعر عن مقتل عمار بن ياسر الذي قال له الصادق الأمين صلى الله عليه وآله: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) ينبّه إلى أنه إنما يذكر لك نموذجاً واحداً من استهتار الأمويين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وتأويلهم للقرآن وللسنة ذلك التأويل الفج المكشوف إلى ما يخدم أطماعهم:

جندل السيف صاحباً لرسول الله من خير صحبه الأكرمينا
وأعاد ابن العاص قول نبي الله كالشمس في الوضوح مبينا

فئة البغي سوف تقتل عماراً شهيداً والويل للقاتلينا
وأغاظ القول الصراح ابن هند فأراد النفاق والتسكينا
قال: يا شيخ قد خرفتَ ألا اسكت فئة البغي من أتى يبغينا!
قاتلوه الذين جاءوا بعمار لحربٍ فمات في أيدينا!

ثم ألوى برأسه نحو جند الـ شام أبطال جيشه الطائعينا
قال: معنى البغاة أنا بغينا دم عثمان فاسلموا آمنينا
هكذا فسّر الحديث ابن هند أمكر الأولين والآخرينا[3]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٦٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٦٥ ـ ١٦٦.

ويطول ليل الإمام عليّ عليه السلام ويطول جلاده لأولئك الناكثين والقاسطين والمارقين فيغمض جفنيه لا لينام بل ليرى حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله و ليشكو إليه ما هو فيه :

وتـــراءى لـــه الـــنبي كضـــوء الـــ ... الفجـر يلقـي عـلى الـرياض سلاما
وشـــكا للرســـول شـــعباً عقوقـــاً ... عـــاد أعمـــى أو مبصـــراً يـــتعامى

أرهقتهم عبادة الله فارتدوا طغاة تقبل الأصناما[1]

وهنا مربط الفرس فالشاعر يعلن سبب عقوق ذلك الشعب لقائده بقوله: (أرهقتهم عبادة الله).

ولم يهدأ بركان الحقد الأسود ولم يهدأ من وراءه حتى فُلقت هامة علي عليه السلام في محراب صلاته بسيف أرهفوه وذراع دفعوه.

كتـــب الله أن يمـــوت قتـــيلاً ... فليمـــت ســـيّد النســـور حَمامـــا

وليت الشاعر قال:

كتب الله أن يموت شهيداً... فما تلك إلا الشهادة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوج بها ويختم حياة هذا البطل الخالد.

ويكبو قلم الشاعر وهو يستطرد في الحديث عن استشهاد الإمام علي عليه السلام وذلك عندما خاطب السيف الذي فل رأسه بقوله:

يـــا حســـاماً قـــد فـــلّ رأس علـــيّ ... طبـــت مـــن طعـــنة الـــورود حســـاما

قد شربت الدم الزكي فطار الرجس كالشمس إذ تحل الغماما[2]

فدعاؤه للسيف بـ (طبت) وقولـه: (فطار الرجس) قد تسبب التباساً شديد الخطورة خصوصاً وأنه كان يستطيع التعبير عن هذا المعنى بكلمات أكثر بساطة

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٧٨.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٨١.

وأقل تعقيداً كقولـه في مقطوعته التي رثى بها أمير المؤمنين عليه السلام:

إيـه عـبد الـرحمن نـذل مـراد ... يـا عـدو السـماء في بغضـائه
أنـت عـبد الشـيطان خلقـاً وخلقـا ... والزنـيم الدنـيء في أدنـيائه
لطخـة العـار يـا بـن ملجم يـا من ... فـح نـتن الأقـذار مـن أسمائـه
كنـية لـو وعـى الـزمانُ محاهـا ... مـن حـروف الـهجـاء قـبل ابـتدائه
لعنـته السـماء والأرض طـرّا ... لعـنة تـرتقي إلى آبائـه!![1]

ويأتي دور وجدان الشاعر هنا ليختم هذا الفصل المأساوي من حياة الإمام علي عليه السلام بأبيات رقيقة معبرة:

يا صلاة الختام في المسجد المحزون طيري إلى السماء ضراما

وأعـدي لـه المكـان رفـيعاً ... وافرشـي الـورد حولـه أكوامـا
طـيبي مجلـس الأمـير ومـدي ... ظـل طُوبـى لظلّـه إكـراما
لم يـنل في الحـياة إلا عذابـا ... فاملئـيه هـناءة وسـلاما

مسجد كان مهده يوم جاء الكون فاستقبل الحطيم الإماما
مسجد شام حتفه يوم شاء الله أن يرخيَ الكمي اللجاما

لاح في مكـة هـلالاً ولـيداً ... وهـوى في العـراق بـدراً تمامـا[2]

وأجمل من هذه المقطوعة أبياته في (رثاء أمير المؤمنين) عليه السلام حيث حلق الشاعر فيها تحليقاً رومانسياً رائعاً يضعه في صفوف المبرزين في هذا الفن:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٧.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٨٢.

غـاب ضـوء الـنهار قـبل انقضـائه ... هـاتِ يـا شـعر أدمعـاً لـرثائه
واذكـر النسـر عالـياً لم يدنـس ... فـالأثير الطهـور في أجوائـه
يكسـف الشـمس بالجـناح عريضـاً ... ويسـد الفضـاء رحـب فضـائه
همّـهُ في الـنجوم لم يُلـق طـرفا ... للـثرى حالمـاً بخصـب نمائـه
سـابحٌ في العـلاء مَـدّ الخـوافي ... في جـبين الشـعاع في لألائـه
في خضـمّ مـن الضـياء رحيـب ... صـبّ فـيه الإلـه فـيض بهائـه[1]

ويستطرد الشاعر في هذه الأبيات الجميلة يقارن بين نظرة الإمام عليّ عليه السلام ونظرة أعدائه إلى الدنيا وزخارفها ليشير إلى عفته وزهده وطهارة نفسه:

يربض الليث في العرين أبيّاً ... والدنايا بعيدة عن هوائه
ويرى الأرض كلها لا تساوي ... أنةً من أساهُ أو من عيائه
قد رأيت الدنيا الغرور عجوزاً ... هام فيها مغفل من عمائه
خدر الجهل عينه فرآها ... نجمة الصبح لألأت في خبائه
قد يطول الحلم المزور يوماً ... ويمد السكران في أغفائه
وإذا أقبل الصباح صدوقاً ... جرف الليل حلمه بروائه
فإذا صدره على صدر أفعى ... وإذا ثغره على رقطائه![2]

ويستمر في أبياته الرائعة هذه ليشبه الإمام علياً عليه السلام هذه المرة في معاناته وزهده بالأنبياء والمرسلين:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٨٤.

رُب شـــهمٍ غـــر الشـــمائل سمـــح تســـتطيب الأخـــلاق رحـــب فـــنائه
كـــلما هـــمّ للعُـــلى عـــبقريا أصـــحر الدهـــر نابـــه لعدائـــه
لا تـــراهُ العـــيون رُمـــداً مراضـــاً وأخـــوه يخونـــه في إخائـــه
ينشـــد المـــال خانقـــاً كـــلّ حـــس غـــير صـــوت الديـــنار في أحشـــائه
أيهـــا الطـــامعون في الأرض أنـــتم أولـــياء الشـــيطان في إيحائـــه

في النفوس الشحاح شاد قصور الوهم تدعو الأقطاب من بخلائه

بـــيع (عيســـى) بالمـــال بـــيع لقـــيط وهـــو كـــنز الســـماء في عذرائـــه
ولـــو ان الجـــبال كانـــت نضـــاراً لم تعـــادل ســـريدة في حذائـــه
مـــات (موســـى) خلـــو الـــيدين نقـــياً كصـــفاء الـــنهار عـــند اعـــتلائه
مـــات (طـــه) ودرعـــه رهـــن ديـــن كَـــلّ جهـــد الـــوفي عـــن إيفائـــه
يـــتعالى الأنـــوف نفســـاً وكفـــاً عـــن مـــتاع الغـــني عـــن أشـــيائه
في جناحـــيه عـــزمة وانطـــلاق وقصـــيّ الـــنجوم دون ارتقائـــه[1]

ثم ينتقل الشاعر نقلة رائعة أخرى ليصف ويتابع ظواهر الأسى التي اجتاحت الدنيا بأسرها حيال الحدث الجلل الذي انتزع منها طود الإيمان والعدل (ومركب النور والـهداية).

جهـــش المســـجد اليتـــيم بكـــاءً حـــين غـــاب الإمـــام مـــن فقهائـــه
وبكـــى الشـــط والفـــرات وغاضـــت زقـــزقات الـــهـــزار في غيـــنائه
وجـــرى أســـود المـــياه كئيـــباً يـــتلوى مولـــولاً في انثـــنائه
يحمـــل الـــنعي للخلـــيج فجـــيعاً هـــدم الضـــفتين وقرعـــنائه
فقـــدت عـــزة الحجـــاز علـــيّاً خـــاتم الراشـــدين مـــن أمـــرائه
واشـــرأبت تهامـــة وعســـير وتـــنادت جـــبالـــها لـــبكائه

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٤ ـ ١٨٥.

مـــركـــب النـــور والـهـــداية جدّت عاصفـــــات الريـــاح في إقصائه[1]

وفي الواقع أن هذا المقطع بأسره خير دليل على الفيض الوجداني للشاعر الذي كان ربّان هذه الملحمة في خضم حياة عليّ الزاخرة. وما عليك إلا قراءة هذا المقطع الأخير منها لتلمس ذلك بروحك:

يـــا لـــواءَ المهاجـــرين ســـلاماً مـــن روابـــي لبـــنان مـــن أندائـــه
مـــن صـــفاء الثـــلج الطهـــور مقـــيماً في الأعـــالي بصـــيفه وشـــتائه
ومـــن الآس والـــورود عـــبير طيـــب الضـــفتين مـــن أودائـــه[2]

وكأن الشاعر لم يستفرغ غضبه كله وسخطه على بني أمية الذين يمثلون النوازع الشريرة فأخذ يتتبع بصمات حقدهم الأسود على الإسلام المتمثل في شخص الإمام عليه السلام وأبنائه الطاهرين، فعقد فصلاً كاملاً من ملحمته عن معاوية وفصلاً آخر عن يزيد بن معاوية ثم يصل إلى الفاجعة الكبرى التي تمخضت عن الكيد الأموي للعترة المحمدية وذلك بدس السمّ للحسن بن علي عليهما السلام وقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام في كربلاء. وقد أشار الشاعر في تصديره للملحمة إلى هذا الاستطراد بقوله: (فصحّت عزيمتي على نظم ملحمة عنوانها: "عيد الغدير" غير أن العنوان لا يستوعب الموضوع فليس حديث الغدير سوى فصل من هذا الكتاب الذي مداره أهل البيت في أهم ما يتصل بهم).

والواقع أنه باستطراده هذا لم يخرج قيد شعرة عن (الغدير) كعيد وبيعة سعى بنو أمية لطمس أنوارها بهذه الفصول المأساوية التي طاردوا بها أهل البيت والتي ما زالت تمدّ ظلالـها المعتمة على الأمة الإسلامية.

فعندما يتحدث الشاعر عن عهد معاوية ينطلق من المثل الساخر:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٨٨.

لقد هزلت حتى بدت من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

والواقع أنك لو أردت تطبيق هذا المثل على زمن بعينه لما وجدت زمناً أجدر من ذلك الزمن الذي اعتلى فيه الأمويون منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد فعل الشاعر ذلك عندما افتتح حديثه عن معاوية بقوله:

هزل الدهر بالجور الزمان وهوت للتراب غر الأماني
فذوى فرع هاشم وتسامى عبد شمس وثباً إلى الصولجان[1]

ولا ينسى الشاعر هنا أن يشير إلى أن من قِبل معاوية أميراً كان على درجةٍ من الغباء والجهل لا يفرق بهما بين الناقة والبعير وهو يشير إلى حادثة شهد فيها خمسون شامياً بأن بعير رجل من أهل الكوفة ناقةٌ لصاحبهم :

واستظلت دمشق عرش ابن هند وتهادت في ركبه الغوطتان
ضفر التاج من غباوة قومٍ لبسوا في النياق والبعران[2]

ثم يُخبر الشاعر عن أركان ثلاثة قامت عليها خلافة معاوية: عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه. ثلاثة وما أدراك ما ثلاثة غص التاريخ الإنساني بهم وبأفعالهم وجاء هذا الشاعر ليقول كلمته:

قام عرش الدهاء ثبتاً مكيناً فوق برج مثلث الأركان
شاده عمرو والمغيرة بطلاً وزيادٌ طلاه بالبهتان[3]

وبعد أن يورد الشاعر بعضاً مما اجترمه هذا الثالوث في حق الأمة يهنئ معاوية بهم متهكماً ساخراً:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٨٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٨٩.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٩٠.

فهنيئا أبا يزيد بصحبٍ بَصَقتهُ الأقذار نسل زوان[١]

ولا ينسى الشاعر بسر بن ارطاة الذي أوكل إليه اضطهاد الشيعة:

يا بن هند هل سَرَّ سمعك (بسرٌ) فابن ارطاة أشرس الذؤبان
حيوانٌ استغفر الله إني قد أسأتُ الظنون بالحيوان[٢]

ولا يُعفي الشاعر معاوية من مسؤولية تصرف عماله مؤكداً أن أولئك العمال ما كانوا إلا مقتدين به ناهجين نهجه:

بَسَمَ الحظ يا معاوي فاجلس فوق عرش من المآثم قان
إن عمالك الطغاة نمور مرهفات النيوب للرعيان

فاستطالت على الرعية إجراما ونهباً منوع الألوان

تخذوا خلقك المزيف نهجاً إن كل المقال في العنوان[٣]

نعم يا بولس:

إذا كان رب البيت بالدف مولعاً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ويصل الشاعر إلى الجريمة النكراء التي أودت بحياة سبط رسول الله ﷺ الحسن الزكي عليه السلام تلك الجريمة التي خطط لها معاوية ونفذتها جعدة بنت الأشعث:

أنت منّيت جعدةً بيزيدٍ فأثرت الرقطاء بالألبان
قتلت زوجها بجرعة سُم إنما السم من سلاح الجبان[٤]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٩٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ١٩٢.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ١٩٥.

ولا ينسى الشاعر أن يؤكد أن قتل الحسن لم يكن إلا استجابة للحقد والعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله لأن الحسن عليه السلام لم يكن يشكل خطراً على عرش معاوية لأنه صالح ـ حقناً لدماء المسلمين ـ ولزم داره احتراماً للصلح الذي داسه معاوية بقدميه أمام الناس:

حسنٌ لم يُثر عليك حروبا ولوى عنك ألف ألف عنان

قرّ في بيته مقيماً على عهدٍ وعهد النبيل من إيمان[١]

ويخاطب الشاعر معاوية يسأله عما بقي من ملكه:

يا ابن هند بنيت في الشام مُلكاً أخضر الأفق زاهر العمران

والتهمت الدنيا كأنك لا تفنى وهمّ الزمان هدم الآن!

حقبة متّ بعدها واستباح الدهر زهو الحلى وعز المغاني[٢]

* * *

وبقيتم عار الدهور ولولا العار لم يُذّكر بنو مروان[٣]

ومع يزيد بن معاوية يبدأ الشاعر جولته بثلاثة أبيات رائعة اختصر فيها يزيد كله:

رافع الصوت داعيا للفلاح اخفض الصوت في أذان الصباح

وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بالقيان الملاح

ألف ألله أكبر لا تساوي بين كفيّ يزيدَ نهلة راح[٤]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ١٩٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٠٣.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ٢٠٤.

وسنتكفي نحن أيضاً بهذه الأبيات وسنختصر بها ما تلاها من أبيات أكد فيها الشاعر بُعد يزيد عن كل فضل وفضيلة ورصد فيها طوفاناً من مخازيه التي توجها بقتل ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الحسين بن علي عليهما السلام.

والملفت للنظر أن الشاعر عندما بدأ الحديث عن وقعة كربلاء تفجّر وجدانه عن أروع مقاطع ملحمته جمالاً وصدقاً. وسنكتفي هنا فقط بذكر شواهد على روعة وجمال هذا الفصل.

يقول الشاعر في خروج الحسين عليه السلام من يثرب يصور تشبث كل منهما بصاحبه:

هجـــر الســـبط يـــثرباً والـــرفاقا ... كضـــــياء يـــــودع الآفاقـــــا
ثقلـــت رجـــل مـــن يفـــارق أرضـــاً ... علقـــت مـــنه في الصـــميم اعـــتلاقا
ذكرياتٌ تشدهُ كاحتضان الأم للنجل ما تطيق فراقا
كـــلما حـــاول الوحـــيد انفلاتـــاً ... ألصـــــقته بقلـــــبها إلصـــــاقا[1]

وفي الطريق إلى كربلاء حيث خطوات محمد وعلي عليهما السلام تهيج ذكريات الحسين عليه السلام وتهيج أيضاً وجدان شاعر:

مـــن هـــنا مَـــرّ أحمـــد وعلـــي ... بعـــده والـــرمال تشـــوي الســـاقا
هاجـــت الذكـــريات عـــين حســـين ... فـــــتلظّى إنســـــانها بَـــــرّاقا
وكـــأن الحفـــيد في شـــبه رؤيـــا ... كشـــفت عـــن فـــؤاده فاســـتفاقا
شـــام وجـــهَ الســـماء يقطـــر نـــوراً ... مفعـــم الســـكب هـــاطلاً غـــيداقا
لاح فـــــيه محمـــــد وعلـــــي ... وكـــأن الـــنبي حـــثّ الـــبراقا
وتـــنادت: الله أكـــبر ـ تلـــك ... البـــيد ـ هـــذا مثلـــث يـــتلاقى!![2]

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢١١.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢١٢ ـ ٢١٣.

وهذه لفتة طريفة للشاعر كمسيحي يذكره كل مثلث بعقيدته في الثالوث المقدس!

ويعلل الشاعر ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويبرز سببها الأول الذي أعلنه عليه السلام بقوله: (ان رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بأمر وأنا ماض فيه وإني لم أخرج أشرا ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

فأجاب الحسينُ : تعلم عبد الله ... إني ما رمتُ جاها و مالا
بل حفاظاً على شريعة جدي ... إنّ ليل الآثام والبغي طالا
ضجت الأرض من شرور يزيد ... فهي بحر مزمجر يتعالى
غمر السهل والتلال فساداً ... ويكاد الخضم يعلو الجبالا
بعث الهمّ كالجحيم دخاناً ... يتلوى وينشر الأذيالا[1]
وأمضّ الأحرار نيرُ يزيد ... جبل الظلم يرهق الأعناقا
أفعم الجو بالمآثم حتى ... لا تطيق الخياشم استنشاقا[2]

وأنه عليه السلام إضافة إلى غضبته لله كان يلبي نداء المستغيثين به من أمة محمد صلى الله عليه وآله في العراق:

وتداعت في الكوفة الناس همساً ... لحسين تؤهب الميثاقا
حجبتهم دار الخزاعي بثوا ... حولها من عيونهم أطواقا
وسليمان قام فيهم خطيبا ... قال يا قوم قد سئمنا النفاقا
أرهقتنا بنو أمية فالأفواه كُمّت والعقل شُد وثاقا
بئس عمالهم طغاة لئام ... يسلبون الأرامل الأرزاقا

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢١٣.

يثلمون الدين الحنيف ويأتون المعاصي زعانفاً فساقا[١]

ويسير الموكب الحسيني بالطليعة الهاشمية:

ومشى موكب الحسين قليل العدّ والدر لا يكون تلالا
بل حبوب قليلة تبهر الآفاق لَمعاً وتملأ الأصالا

وتلاحظ هنا أن كلمة (حبوب) غير مستقرة في مكانها فقد جاءت ناشزاً نافرة لا تنسجم مع معنى البيت.

ويصل الركب كربلاء الفداء:

وصل الركب كربلاء وحارا سابقُ المكر ضلّل السيارا

ونزل الحسين:

أنزلوه بكربلاء وشادوا حوله من رماحهم أسوارا[٢]

ولما لم يجد الحسين آذاناً مصغية لنداء العقل والقرآن:

ثم سل الحسين سيفاً عجيباً عرفوه لما به من شيات
نقش الخلدُ متنه سفر مجدٍ واطمأن الجلال في الفقرات
واعتلى صهوة الجواد جوادٌ أخذته العيون بالنظرات
حمل الجد قلبه فكأن الـ ـسرج حصن الإباء والعظمات

أشرف الفارس العجيب على جيش خميس معدد الرايات
زائرا كالهصور يخرج من خدر أحاطت به قسي الرماة[٣]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢١٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٤٩.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٦١.

ويحتدم القتال ويحمى وطيس المعركة وتورق الحرب في لسان الشاعر ويده وتتوهج الكلمات:

خفق السهل رعدة واضطرابا فالكنانات ملّتِ النشابا
ورمته إلى النحور بريداً دمو ياً وقاتلاً خضابا
السهام العطاش أردت عطاشا والنجيع الكريم هلّ انسكابا
فأجاب الشوس الميامين بالنشاب نثرا وبالحسام ضرابا
يا رجال الحسين ـ قال حسينٌ ـ ظمئ السيف فامحضوه الشرابا
لا تهينوه بالأطاريف يبريها فعهدي به يحب الرقابا[1]

وبعد أن تساقط أبناء الحسين وإخوته وأنصاره الواحد تلو الآخر على صعيد الشهادة والكرامة حانت (الساعة الرهيبة).

كسَرَ النسر طرفه إعياء بعدما قرّح الجفون بكاء!
لو أصاب الفرات رزء حسين لانطوى النهر كالرداء انطواء
ولغاضت شطآنه واستطار الرمل في خاطر الأثير هباء
شردوه عن وكره ورموه حيث يستوحش العراء العراء
وتبارى الرماة يرمون نسراً حرم القوت حلقه والماء
حرموه إخوانه وبنيه نثروهم على الثرى أشلاء
هاهنا من فراخه بعض ريش وهنا الترب يلفظ الأحشاء[2]

ويقول الشاعر: وحتى عبد الله الرضيع أبى الحقد الأموي الجاهلي إلا نحره على صدر أبيه:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٦٧.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

حضنَ الطفل نجله وهو عبد الله عبدٌ ضُموا إليه السماء

أي طفل كأنه الوردة الحمراء جفت لم تشرب الأنداء

في صفاء الثلج المذاب جبين كلما الحلم ماج فيه أضاء

سرحت أنمل الحزين بشعر فكأن الحسين مس ذكاء

خصل من أشعة الشمس سالت وتهامت ضفائراً شقراء

وكأن الذوائب الشقر أضواء تؤدي إلى الحزين العزاء[1]

وبعد يا بولس:

وإذا في الفضاء سهم يصك السمع صكّاً ويجرح الأصداء

حسبته العيون نفثة بركان تبدّت شرارة سوداء

شق نحر الذبيح فاندفق المرجان يكسوه حلة حمراء

ذلك الفجر لم يُمتّع بصبح وقبيل الصباح لاقى المساء[2]

إيه يا بولس وبعد... حدثنا عن غلام آخر... عن ذبيح آخر... عن عبد الله بن الحسن وكيف فرّ من الخيام يلبي نداء عمه الحسين عليه السلام فذبحوه على صدره :

باد صحب الحسين إلا غلاما يخجل الطل رقة وسناء

يا شفار السيوف رفقاً بعبد الله يفتر وردة بيضاء

فرّ من خيمة النساء وجاء العمّ يفدي فما أجلّ الفداء

يُولد الطالبي شهماً فإن يصبح غلاماً تقحم الجوزاء

نفست عمة الصبي على الموتى بضيفٍ لم يثقل الغبراء

يجرح الضوء خده ويشيع اللحظ في ريق الجبين الحياء

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٧٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

لـو أتـى الـورد قاطفـاً لـتحامى الشـوك أن يخـدش الفـتى الوضـاء
أو أتـى الـنهر في الضـحى مستحما نـثر الـدوح للحـيي الغطـاء
حاولـت زينـب تصـد فـتاها مَـن يصـدّ الفـتوة الـهوجـاء
قـال: إنـي أمـوت في ظـل عمـي بعـد عمـي أرى الحـياة عفـاء[1]

وبقى فرد الحقيقة غريباً مفرداً:

فارتدى حلة الممات سراويلاً يمانية تناهت رواء[2]
هاجموه فقبل السيف إجلالاً لذكرى أشاوس عظماء[3]

لم يُشـاهد مـثل الحسـين شـجاعا وصـبوراً يغالـب الأسـواء[4]
ظامـئا ثـاكلاً لـهـيفاً جـريحاً في عـدوّ يكاثـر الدأمـاء[5]

ولم تجد السيوف سبيلاً إلى هذا الليث فانطلقت السهام :

لا سـبيل إلـيه إلا سـهام فتـنادوا وأمطـروه الـبلاء
نـثروها كمـا الـرياح السـوافي تسـتقل الـرمال والحصـباء
أنصـلاً يطلقونهـا مـن بعـيد فترامـى في جسـمه عمـياء[6]

وتنبعث الدماء الطاهرة من جسد الحسين ورأى الشاعر رمل كربلاء يفتح قلبه :

فـتح الـرمل قلـبه مسـتهاماً يـتلقى مـن الحسـين الدمـاء
يسـتبيه الـدم النفـيس كسـمط الـدر يُغـري الصـيارف الـبخلاء[7]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٠.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٠.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ٢٨١.
(٥) ملحمة عيد الغدير: ٢٨١.
(٦) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٢.
(٧) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٢.

ولا ينسى الشاعر أن يشير إلى أن الذي يُذبح هنا نبي الأمة محمد بن عبد الله ﷺ:

يـــتلقى دمـــاء طـــه كـــنوزا ســـائلات فتســـتفيض ثـــراء

ويباهي في الأرض كل بقاع الأرض حتى يكاد يغزو السماء

ويـــباهي فكـــل حـــبة رمـــل دونهـــا حلـــية الملـــوك غـــلاء

دونها تربة العراقين والزوراء من بعد ما غدت زوراء[1]

الله أكبر يا بولس... وبعد... هل جاء شمر؟

وانـبرى الشـمر يذبـح السـبط ذبحـاً ليـــت كانـــت يميـــنه شـــلاّء!

فصـــل الـــرأس عـــن قتـــيل شـــهيد فعـــن الشـــمس قـــد أزال الضـــياء[2]

ولم ينس الشاعر ـ وأنى لـه ذلك ـ بطلة كربلاء وعقيلة الطالبيين زينب بنت علي عليها السلام:

زينب الطهر والبهاء أفاض الله فيها من السماء البهاء

بنت بنت الرسول جملها الباري فصاغ الخميلة العذراء

أخـــذت حكمـــة الـــرجال فـــردت مـــا رواه الـــرواة عـــن حـــواء

لـــو رأتهـــا حـــواء في الغيـــب لا رتـدت إلى الرشـد حشمة وإباء[3]

ويتأوه الشاعر لزينب وحق له ذلك:

إيـه أخـت الحسـين بنـت علـي حُملـــت مـــا يزلـــزل الـــبطحاء

أقسم الدهر أن ينالك بالأرزاء حتى يستنفذ الأرزاء

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٥.

نـــال قلـــب الزهـــراء مـــنه كلـــوم وهـــو مـــا انفـــك يجـــرح الزهـــراء

ـ إشارة عظيمة من الشاعر إلى ما لاقته الزهراء عليها السلام من بلاء عظيم ـ

فاصبري فالحياة دار عذاب حسبك الخلد جنة فيحاء[١]

وتحاول شمس عاشوراء الغروب عن سماء كربلاء ويستوقفها الشاعر لينفث ما تبقى في صدره من أسى ولوعة :

يـــا ضـــياء الغـــروب في كـــربلاء دونـك الشـمس في الغـروب ضـياء
كيف باتت والكوكب الضخم يهوي مثـــلما تســـقط الســـماء انكفـــاء
أدمـــع الطـــف والفـــرات وغاضـــت زقـــــزقات في أيكـــــة غـــــناء
صـــبغ الـــنهر قانـــياً وتدلـــت شـــجرات تكـــاد تُلقـــى الـــرثاء
أرســـل العندليـــب شـــجو جـــريح واســـتحرت فـــيه الدمـــوع دمـــاء
حســـبته العـــيون ترجـــيع صـــبٍّ باعدتـــه الأيـــام عـــن حســـناء
وهـــو لـــو تعـــلم الغصـــون نـــواحٌ بـــثّ فـــيه الأســـى بعاشـــوراء[٢]

ويرحل الجيش الأموي الخاسئ ناشراً رايات العار ملطخة بدماء الحسين وأهل بيته وأنصاره وتبقى كربلاء وأجساد القتلى وشاعرٌ محزون:

أقفرت كربلاء إلا من القتلى ومن غيمة بلون الحداد!!

تنشـــر الظـــل فوقهـــم وتقـــيهم منســـر الطـــير أو ذئـــاب الـــبوادي[٣]

ويبث الشاعر أدق وأصدق أحاسيسه تجاه محمد وعلي والحسين عليهم السلام عبر مساءلته لبني أسد الذين واروا الحسين الثرى:

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٤ـ٢٨٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٩.

مَن هداكم إلى ابن بنت رسول الله والرأس في يد الحصّاد؟[١]

وأنى للشاعر ببني أسد حتى يجيبوا عن هذا السؤال؟ ويجيب هو عنهم:

دمُهُ السمح إنّ فوح عبير الورد أهدى هادٍ إلى الأوراد

قادكم للحسين سبعون جرحاً كل جرح فيه شهيد ينادي
دلكم أنه سليل علي عالَم حوله من الأمجاد

وعرفتم فيه النبي فإن الحدس شيء من معجزات الفؤاد
إن للقلب وثبةً تلج المجهول عفواً بلا هداية هاد[٢]

نعم أيها الشاعر هذا هو الجواب الذي ليس عند بني أسد جواب سواه ...

ويسير الشاعر خلف رأس الحسين في تطوافه من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام ... يخاطبه ويناجيه رايةً من رايات محمد ﷺ:

أيها الرأس طبت حيّاً وميتاً وألِفتَ العُلى ورُمتَ الشواهق
كنت رأس الأُباة حيّاً ورُمت المجد ميتاً فصرتَ رأس البيارق
عَلماً كنت لم يمتع بنشر فاته الحظ والهواء الموافق
فجلاك الممَاتُ بندَ خلود وروتك الدهور سفر حقائق[٣]

وكأن الشاعر أراد أن يختم حديثه عن الحسين عليه السلام وعن جده وأبيه عليهما السلام وعن النهضة الحسينية الإصلاحية الظافرة بهذين البيتين:

شيمة المُصلحين يمشون في الدنيا على شفرة الحسام الفالق
فإذا يتركونها..يتركون الكون.. روضاً بالخير والفوح عابق[٤]!!

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ٣٠٥.

نعم أيها الشاعر.

فما هذه الملحمة إلا وردة نبتت على حاشية من حواشي ذلك الروض البهيج.. تفوح بالعطر لأن جذورها مضخمة بأسمائهم.

الختام

بعد هذه الجولة في هذه الملحمة العَلَوية تبرز بين أيدينا عدة حقائق مهمة:

الحقيقة الأولى:

ان تأمل الملحمة تأملا نقديا يقودنا إلى القول بأن الملحمة كعمل أدبي فني ابداعي كانت مثقلة بعبء الحدث التاريخي في أحيان كثيرة كقول الشاعر محاولا الاقتباس من دعاء النبي لعلي عليهما الصلاة والسلام:

صُنه يا ربّ إنه زوج بنتي وابن عمّي ووالدٌ لصغاري[1]

وقوله في نفس الموضوع:

ويقول النبي: اركب فإن الله راض عن حيدر كرار[2]

أو قوله على لسان العباس بن عبد المطلب يوم حنين:

قال: يا صحبَ أحمدٍ هل نسيتم في الحديبية الوثاق العهودا[3]

أو قوله على لسان النبي ﷺ يوم الغدير:

أيها الناس ـ قال ـ أوشك أن أدعَى واني وانكم لنشور[4]

وقوله:

يا إلهي وال الذين يوالون ابن عمي وانصر حليف نصيري[5]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٩١.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٩٣.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٩٩.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص١٠٩.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ص١١٠.

أو قولــه وهو يعدد بعض سور القرآن الكريم التي كتبها الإمام عليه السلام في معرض حديثه عن كتابة الوحي:

بينها (النجم) و(الضحى) و(بروجٌ) و(انشقاقٌ) يجيء بعدَ (انفطار)[١]

ومن الطريف أن الشاعر كان مولعا بتكرار كلمة (البكور) ومشتقاتها بشكل لافت للنظر حتى أنه استخدمها في بعض الأبيات أكثر من مرة. كقوله:

وتلا زوجةَ النبي عليٌّ بكرُ مَن آمنوا وبكرُ الخلود[٢]

وقوله:

سوف القاكمُ على الحوض إذ يأتي عليٌّ بكير كل بكير[٣]

وقوله:

أول المسلمين لله طوعاً بكرةً عند حوضه المورود[٤]

وقوله:

أنت مني ووارثي ووزيري وعلى الحوض أنت بكرُ شهودي[٥]

وقوله:

إنك البِكرُ في الشهادة والأخلاق والعلمِ والفعالِ الحميدِ[٦]

وقوله:

فهداه إلى النبي فعبٌ الكوثر العذب في بكور انفجاره[٧]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٥٠.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٣٩.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١١١.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٣٩.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ص٤١.

(٦) ملحمة عيد الغدير: ص٤١.

(٧) ملحمة عيد الغدير: ص١٣٢.

وقوله:

خـــامس المؤمـــنين والديـــنُ غـــضٌ لم يفـــضّ الحجـــابُ عـــن أبكـــاره[١]

وقوله:

ومـــن العندليـــب في وثـــبة التـــبكير نـــــبض الحـــــياة في أوتـــــاره[٢]

وقوله:

أعـــزلا كالحقـــيقة الـــبكر طلقـــاً بـــارز الصـــدر كالصـــباح الســـافر[٣]

وقوله:

وتجاروا للمسجد النبوي البِكر يمشون زمرة وفرادى[٤]

وقوله:

عجبا (يا زبير) تترك بِكر الناس دينا وحكمة وجهادا[٥]

وقوله:

أيهـــا المـــبكر المـــؤذن لا تهـــتف وان شـــئت فاعتصـــم بالـــبحاح[٦]

وقوله:

عـــاد إثـــر الوقـــيعة الـــبكر ليـــثٌ رمقـــــته القلـــــوب بالإيمـــــاء[٧]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١٣٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص١٣٤.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٤٥.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص١٤٢.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ص١٤٥.

(٦) ملحمة عيد الغدير: ص٢٠٥.

(٧) ملحمة عيد الغدير: ص٦٣.

الحقيقة الثانية:

إن الشاعر استطاع في كثير من الأبيات التسجيلية الوثائقية أن يتفلّت من عبء الحدث فجاء بأبيات رشيقة جميلة هي أقرب إلى الشعر الوجداني منها إلى النظم. كقوله في مولد هاشم وعبد شمس ابني عبد مناف:

ومشى للخلود عبد مناف ... يوم أهدى إلى البرية هاشم
توأم جاء سابقا عبد شمس ... سبقة الضوء للمساء الداجم[1]

أو قوله يصف ما قام به الراهب بحيرا عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مع عمه أبي طالب:

وأظل الركب العريض ببُصرى ... سقف دير معبّق بالبخور
خف سرجيس ينثر التمر جوداً ... ويحز الجزور إثر الجزور
لم تكن تلك شيمة في بحيرا ... فهو في مثل نشوة المخمور
ما عراه؟ رأى عصوراً بشخص ... فاستشف الإلهام خلف الستور
شام طه فخال ظل إلهٍ ... يتمشى في المرمر المسحور
فدرى انّ مكة عن قريب ... سوف تنحلّ من قيود الغرور[2]

أو قوله في مولد الإمام علي عليه السلام:

وإذا نجمةٌ من الأفق خفت ... تطعن الليل بالشعاع الجديد
وتدانت من الحطيم وقرّت ... وتدلت تدلي العنقود
تسكب الضوء في الأثير دفيقاً ... فعلى الأرض وابل من سعود[3]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٣٢.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٣٧.

أو قولــه في مواجهة الإمام علي عليه السلام للمتربصين برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة مبيته في فراشه كأول فدائي في الإسلام:

واجــه القــوم لا حســام شــطيب ... لا قــــناة لا بيضـــة لا مغافـــر
أعــزلا كالحقــيقة الــبكر طلقــا ... بــارز الصــدر كالصــباح الســافر
حــبّهُ المــوت هــالهم فــتواروا ... كالخفافــيش في ضــياء باهــر[1]

وكقوله في حرب عليّ عليه السلام لبني سليم في وادي الرمل:

دار حول الوادي عليّ وجنح الليل غمر مبطن الأستار
بلغ الثغر قبل أن يخضب الاصباح رأس التلال بالأنوار[2]

وقوله في أحداث السقيفة وضياع حق الوصي عليه السلام:

وتوالت تحت السقيفة أحداثٌ أثارت كوامناً وميولا

وانجلــت عــن ضــياع حــق ولــي ... كــان إلا عــن حــزنه مشــغولا[3]

وقوله في وصف لقاء الإمام عليه السلام بعمرو بن عبد ود:

ومشــى حــيدر يــروم هصــوراً ... يــتلوى الأخشــبان قــبل الــتوائه
أيهــا النســر دونــه كــل نســر ... لــيس غــير الــنجوم في اجوائــه
جلجلــت فــيك روح (عــبدِ منافٍ) ... و(قصــيّ) و(غالــبٍ) مِــن ورائــه
فتنزيــــت أمــــرداً للمــــنايا ... تطــرُقُ العــينُ رقــةً مــن حــيائه[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٤٥.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٩٢.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١١٨.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٨٢.

وقولــه في فرار أبي ذر الغفاري رضي الله عنه من عثمان ليفاجأ بطغيان معاوية وإسرافه في الشام:

هاله أن يرى بعثمان اسرافاً يهمّ الجماد باستنكاره

فــأتى الشــام بــاعداً عــن لــهيــب ... لا يطــيق الصــبور بعــض أواره
فــإذا في دمشــق مــن موجــة الــ ... إســراف نهــرٌ يضــج في تهــداره
فــابن (هــندٍ) يُحــل مــال اليــتامى ... للرشــى للطغــاة مــن أنصــاره
شــاد قصــر الخضــراء مــن مهجــة ... الأيــتام ســالت عــيونهم لاخضــراره
وكــأن القلــوبَ وهــي جــياعٌ ... فلــذاتٌ تــنزُّ تحــتَ حجــاره[1]

وقوله في عبيد الله بن زياد وهو يضرب هانئ بن عروة ويدميه:

واستشاط العقيق في اللحية البيضاء لاحت كالثلج في الـهضبات

شــرقت مــن دمائــه فتــبدت ... كعــروق المــرجان موصــولات

* * *

صمت الصابر الشهيد فإن المجد يأبى مذلّة الآهات

كــادت العــين تحســب الشــيخ لــولا ... وابــل مــن جــراحه الدامــيات
ذيــل طــود أو مــارداً مــن رخــام ... دمّمَــته أصــابع الــنحات[2]

وقوله في طلب مسلم بن عقيل للماء بعد أسره:

وأرى في الحضــيض جــرة مــاء ... يتــنزى لــيملأ الكــيزانا
قــال: بلــوا فمــي بــنهلة مــاء ... فــإذا مــتّ لم أمــت عطشــانا[3]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٢٢٥.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٢٣٤.

وقوله في خطاب الحسين عليه السلام لأصحابه يوم كربلاء:

يـا رجـال الحسـين ـ قـال حسـينٌ ـ ظمـئ السـيف فامحضـوه الشـرابا
لا تهيـنوه بالأطـاريف يـبريها فعهـدي بـه يحـب الـرقابا[1]

الحقيقة الثالثة:

إن الملحمة تعج بالرشحات الوجدانية الهائلة التي حلّق بها الشاعر فجاء بنماذج شعرية تفيض صدقا ورقة وعذوبة وجمالا وروعة تضعه في مصاف أكبر شعراء العربية المتأخرين كقوله في النبي صلى الله عليه وآله:

كل عام يرتاد غار حراء مفعم الروح ملهم التفكير
يرسل الطرف للسماء كلاما ليس تجلوه صنعة التعبير
ذلك الصمت دونه جهر موسى بالدعاء الحميم فوق الطور
فالصلاة الصلاة خفقة قلب وهيام مغلغل في الشعور
قال عيسى: مُلك الإله لديكم لو نبشتم عن كنزه في الصدور[2]

وقوله:

كلما افتر برعم داعبتهُ كفّ ريح تقول للطيب هيّا[3]

وقوله:

يا رمال الصحراء هذا علي فاملئي الدرب والضفاف أزاهر[4]

وقوله:

وتـنعَّمْ بـالفوح مـن طيـب نجـدٍ آذن اللـيل بانطفـاء العـرار[5]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٢٦٧.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٣٤ ـ ٣٥.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١٣.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٤٨.
(٥) ملحمة عيد الغدير: ص٥٦.

وقوله في النبي صلى الله عليه وآله قبيل (بدر):

حمل الليل من صميم الدعاء ... ما أهاج الحزون في البيداء
سال طلاً على جبين الروابي ... وضياءً في معطف الظلماء
أحمد الساهر الوحيد يصلي ... يُغرق الخوف في صباح الرجاء[1]

وقوله فيه صلى الله عليه وآله:

ودعا بالعقاب رايته السوداء منسوجه بكف الضياء

واصطفى حيدر العصور عليا ... فلواءٌ يعتز فوق لواء[2]

وقوله في الزهراء عليها السلام:

وهي قطب الحنان في صدر طه ... واختصار البنات والأبناء[3]

وقوله:

خجل البدر من ضلال قريش ... فتوارى والليل أرخى السدولا[4]

وقوله يصف قلعة خيبر:

واستعاذ اليهود بالحصن شمخا ... جاور الغيم والنسور الحوائم
تستحم النجوم فيه سكارى ... كالغواني تبرجت للمواسم[5]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٥٨.
(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٥٨.
(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٦٤.
(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٧٦.
(٥) ملحمة عيد الغدير: ص٨٤.

وقوله عن الدعوة المحمدية:

كـــان وهـــجُ الشـــروق يـــوم حـــراءٍ وجـــلالُ المغيـــب يـــومَ الغديـــر[١]

وقوله ينفي قعود الإمام علي عن إسداء النصح إلى عثمان:

أين ذنب الطبيب عند مريضٍ عاف شرب الدواء من فنجانه[٢]

وقوله في مأساة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

يا لـهول المأساة أدمعت الصحراء فالرمل ذائب في جماره

أعوزتـــه الدمـــوع فانشـــق حـــتى طفـــر الدمـــع مـــن جفـــون عـــراره[٣]

وقولـــه في حفاظ الإمام علي عليه السلام على الحسنين عليهما السلام يوم الجمل وأنه كان يرى فيهما على الدوام شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

أشـــفق الليـــثُ أن يصـــابا بســـوء فـــيموت الرســـول في الأنســـال

إن تهـــبّ الـــرياحُ هوجـــاً توقـــى حـــامل الضـــوء بـــرزة المشـــعال[٤]

وقوله في صفين:

شـــهق الـــنهر مـــن دمـــاء الضـــحايا واســـتحال الخريـــرُ فـــيه أنينـــا[٥]

وقوله في آخر صبح للإمام علي عليه السلام:

هَـــبّ في الصـــبح للصـــلاة علـــيّ كصـــباح يـــودع الأيامـــا

يـــنهل الضـــوء مـــا اســـتطاع ويســـقي مـــن عـــبير في بردتـــيه النســـاما

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١١٣.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص١٢٩.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١٣٧.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص١٥١.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ص١٦٢.

لا هياما بالفوح لكنه الصبح المولّي يُعطرّ الآكاما[١]

وقوله في نفس الغرض:

حاسراً سار للصلاة كوجه الحق والحق لا يطيق اللثاما[٢]

وقولـه في ولدي عبد الله بن عباس اللذين قتلهما بسر بن ارطاة ـ وقد تأثر الشاعر تأثراً واضحا في رثائه هذا برثاء أمهما التي رثت ولديها بأبيات منها قولـها:

(هـا مَـن أحـسّ بـإبنيّ اللذيـن هُما كـالدرتين تشـظا عنهما الصدفُ ؟)

يقول بولس:

كـان لابـن العـباس نجـلان أبهـى مـن رواء الربـيع في نسـيان

أشـبها درتـين في جـيد أمّ كـلما دق قلـبها تـلمعان

ان تباهـت غريـرةُ بحلاهـا فلديهـا للعـيد لؤلؤتـان

ترقـب العـيد لا لـزهو ولكـن لـتلُفّ الصـبحين بـالأرجوان[٣]

وقوله في يزيد:

رافـع الصـوت داعـيا للفـلاح اخفـض الصـوت في اذان الصـباح

وترفق بصاحب العرش مشغولا عن الله بالقيان الملاح

ألـف ألله أكـبر لا تسـاوي بـين كفّـي يـزيد نهلـة راح[٤]

وقوله يصف الزهراء عليها السلام:

بعـض مـا في النعـيم دفـق سـناها ورفـيف مـن نورهـا الوضـاح[٥]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١٧٩.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص١٨٠.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١٩٣.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٢٠٤.

(٥) ملحمة عيد الغدير: ص٢١٠.

وقولـه يصف سيف الإمام علي عليه السلام وهو مشهور بيد الحسين عليه السلام:

ثـم سـلّ الحسـين سـيفا عجيـبا عـرفوه لمـا بـه مـن شـيات
نقـش الخلـد متـنه سـفر مجـد واطمـأن الجـلال في الفقـرات[1]

وقوله:

مـا أضـل الجهـول يعمـى فينسـى أن فـوق السـماء والأرض خـالق[2]

وان كنت أرى أن (الإنسان) مكان (الجهول) في البيت أنسب لأن كلمة الجهول لم تضف شيئا ولا معنى لـها لأن الجهول أعمى لا محالة إن نَسِيَ أم لم ينس أن فوق السماء والأرض خالق.

الحقيقة الرابعة:

إن الشاعر تأثر بسيرة الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام إلى درجة الولاء الذي جعله يُفيض من شعوره في هذه الملحمة ما يدعم ذلك ويشهد به كقوله:

أنت أجهدت يا علي عصوراً بعدك استيقضت لجني الكمال
يعجز الحلم حيث تجري طليقا ويعود الجسور نضو هزال[3]

وقوله:

بـل (علـيا) ندعـوه قـال أبـوه فاسـتفز السـماء للتأكـيد
ذلـك اسـم تناقلـته الفـيافي ورواه الجـلمود للجـلمود
يهـرم الدهـر وهـو كالصـبح بـاق كـل يـوم يـأتي بفجـر جديـد[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٢٦١.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٣٠٠.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص١٥٧.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص٣٧.

وقوله:

كلما غرّد الهزار لنصر ... كان ذكر الوصي لحن الشادي
تتكنى به الفوارس من عز ... ويفتر ذكره في النادي[1]

وقوله:

فإذا كان طاهراً كعلي ... شد الله قلبه بأواصر
يذكر الله بكرة وعشيا ... ويصلي في كل ومضة خاطر
فالمناجاة والصلاة عطور ... تتعالى إلى السماء مباخر[2]

وقوله:

هكذا كان صهر أحمد يُضفي ... نبله ملء سرحة الدهر فيّا
هو فخر التاريخ لا فخر شعب ... يدعيه ويصطفيه وليا
فإذا لم يكن عليّ نبيا ... فلقد كان خلقه نبويا[3]

وقوله في أهل البيت عليهم السلام:

عترة الطهر ياورود الخمائل ... عطري الجو بالشذا والفضائل
يا شروق الأنوار في غيهب الـ ... أزمان ظلي على العصور مشاعل
أيها المركب القوي شراعاً ... سر على البحر لو تعالى جحافل
في حفاظ الرحمن تجري ونور ... الروض يلقاك في نعيم الساحل
يغرق الشانئون عترة طه ... ويجوز الميناء شهم داخل[4]

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٢٩٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير: ص٤٨.

(٣) ملحمة عيد الغدير: ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٤) ملحمة عيد الغدير: ص١٠١.

وقوله يخاطب الإمام الحسين عليه السلام:

يا سليل المطيبين جدوداً ... يفضح الشمس عزة وانتماء
مجدكم صيّر النبيل نبيلا ... وحباه من العلى ما شاء
أنتم السلم المكين إلى العلياء ... إن رام طامح علياء
وبكم يفتح العظيم طريق الـ ... ـمجد لكنه يظل ابتداء

يلهث السابق المغبر في الميدان لا يبلغ النجوم ارتقاء
شرف العين أن ترى البدر وضاءً فلا تبتغي إليه انتهاء

يا ابن بنت الرسول حسبك فخرا ... إنك السبط شرف الشهداء
جده شرف الحجاز ومدّ الـ ... ـنور فيه وآنس الدهناء
ولظلت جزيرة العرب ... لولاه يبابا وقفرة صحراء

جذب الكون نحوها وجلاها ... فغدت كل ربوة سيناء
دمك السمح يا حسين ضياء ... في الدياجير يلهم الشعراء[1]

وجميل أن نختم شواهدنا بمقطع من رثاء أمير المؤمنين عليه السلام والتي تفوح منها عطور الصدق والإيمان:

غاب ضوء النهار قبل انقضائه ... هاتِ يا شعر أدمعاً لرثائه
واذكر النسر عاليا لم يدنس ... فالأثير الطهور في أجوائه
يكسف الشمس بالجناح عريضا ... ويسد الفضاء رحب فضائه
همه في النجوم لم يلق طرفا ... للثرى حالما بخصب نمائه
سابح في العلاء مدّ الخوافي ... في جبين الشعاع في لألائه

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٢٨٧.

في خضم من الضياء رحيب ... صبّ فيه الإله فيض بهائه
زوج بنت الرسول خلقك أسمى ... من مناط العيوق من اسرائه
شيمة النور أن يظل نقياً ... لا يمس الغبار كنه صفائه
وغنى الأخلاق ليس فقيرا ... إنما مجده بكبر شقائه[1]

الحقيقة الكبرى:

سُئل الخليل بن أحمد الفراهيدي يوما: ما بال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كأنهم كلهم بنو أم واحدة وعلي عليه السلام من بينهم كأن ابن علّة؟ ـ أي كأنه ابن ضرّة ـ فقال: (لأنه تقدمهم إسلاماً، وفاقهم علماً، وبذهم شرفا، ورجحهم زهداً، وطالبهم جهادا والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم وفاقهم).

ذلك هو الإمام عليّ عليه السلام وتلك عظمته التي أوغرت عليه قلوبا كثيرة حتى قال عليه السلام: (ما ترك لي الحق من صديق).

أما نحن يا أبا الحسن ... فنقول بعد أربعة عشر قرنا من مقالتك هذه: (إن دائرة أصدقائك ومحبيك لا زالت تنداح وتتسع ـ بذلك الحق ومعه ـ حتى شملت كل زمان ومكان).

ونظرة واحدة إلى مكتبات العالم اليوم تضع بين يديك عشرات بل مئات الكتب التي ألفت فيك وعنك معشوقا وعاشقا للحق والفضيلة.

وهذا واحد من عشاقك يضيف إلى ذلك الرصيد الهائل من وثائق عظمتك هذه الملحمة التي قال وهو يهديها إليك:

(فيا أبا الحسن.. ماذا أقول فيك؟ وقد قال الكتاب في المتنبي: (إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس) وانْ هو إلا شاعر له حفنة من الدر إزاء تلال من الحجارة وما شخصيته حيال عظمتك إلا مدرة على النيل خجلى من عظمة الأهرام).

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص١٨٣.

ذلك الحق الذي ما ترك لك من صديق هو الذي أنطق هذا الشاعر المسيحي بفضلك حتى قال:

يـا أمـير البـيان حسـبي فخـراً ... إنـني مـنك مالـئٌ أصـغريا
جـلجل الحـق في المسـيحي حـتى ... عُـدّ مـن فـرط حـبه علويـا
أنـا مـن يعشـق الـبطولة والإلـهـام ... والعـدل والخـلاق الرضـيا
فـإذا لم يكـن علـيّ نبـيّا ... فلقـد كـان خلقـه نـبويا[1]

وستبقى أنت يا أمير المؤمنين الهاجس الذي لا ينطفئ من ذاكرة الزمن يستحث العقول ويشحذ الأقلام لتحاول رسم صورتك الشامخة، وتبقى أنت يا أبا الحسن فوق كل هاجس وأبعد من كل خيال كما قال عنك ميخائيل نعيمة:

(وانه ليستحيل على أي مؤرخ أو كاتب مهما بلغ من الفطنة والعبقرية أن يأتيك حتى في ألف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الإمام عليّ عليه السلام ولحقبة حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة التي عاشها. فالذي فكّره وتأمّله وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه. وإذ ذاك فكل صورة نرسمها له هي صورة ناقصة لا محالة وقصارى ما نرجوه منها أن تنبض بالحياة).

وهنا والآن وفي كل مكان وزمان ينتهي كل دارس لشخصيتك الفذة وكل باحث في عظمتك إلى (الحقيقة الكبرى) التي نطق بها أخوك النبي محمد صلى الله عليه وآله عندما قال: (يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا).

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

تمت بحمد الله بقلم: ناجي بن داود الحرز

الأحساء ١٤١٣/٩/٢٢هـ

---

(١) ملحمة عيد الغدير: ص٣٦٢.

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ ملحمة عيد الغدير لبولس سلامه طبعة ١٤٠٦هـ ـ دار الكتاب اللبناني.

٢ ـ خصائص الإمام علي للنسائي.

٣ ـ المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين.

٤ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني.

٥ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي.

٦ ـ الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي.

٧ ـ الكوثر المهدور لسليمان كتابي.

٨ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.

٩ ـ علي وحقوق الإنسان لجورج جرداق.

١٠ ـ شاعر وقصيدة لمصطفى طلاس.

١١ ـ مشاهير الشعراء والأدباء عبد.أ. علي مهنا وعلي نعيم.

١٢ ـ لسان العرب لابن منذر.

١٣ ـ قصتي مع الشعر لنزار قباني.

١٤ ـ روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات للسيد محمد باقر الأصفهاني.

الفهرس

المقدمة ٩

الباب الأول ١٥

عليٌ وحده ١٥

مولد علي ١٦

الباب الثاني ٣٣

عليٌ ومحمد ٣٣

الباب الثالث ٥٣

علي بعد محمد ٥٣

الخاتمة ٨١

المصادر والمراجع ٩٧

الفهرس ٩٩

الروضة الحيدرية
١٠٣٦٥
التاريخ ٦/١/٢٠٠٥

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بيروت/ لبنان/ ص . ب : 278 / 25 الغبيري

www.omalqora.com

Email: info@omalqora.com

0251-7748625

HAL_HZ@HOTMAIL